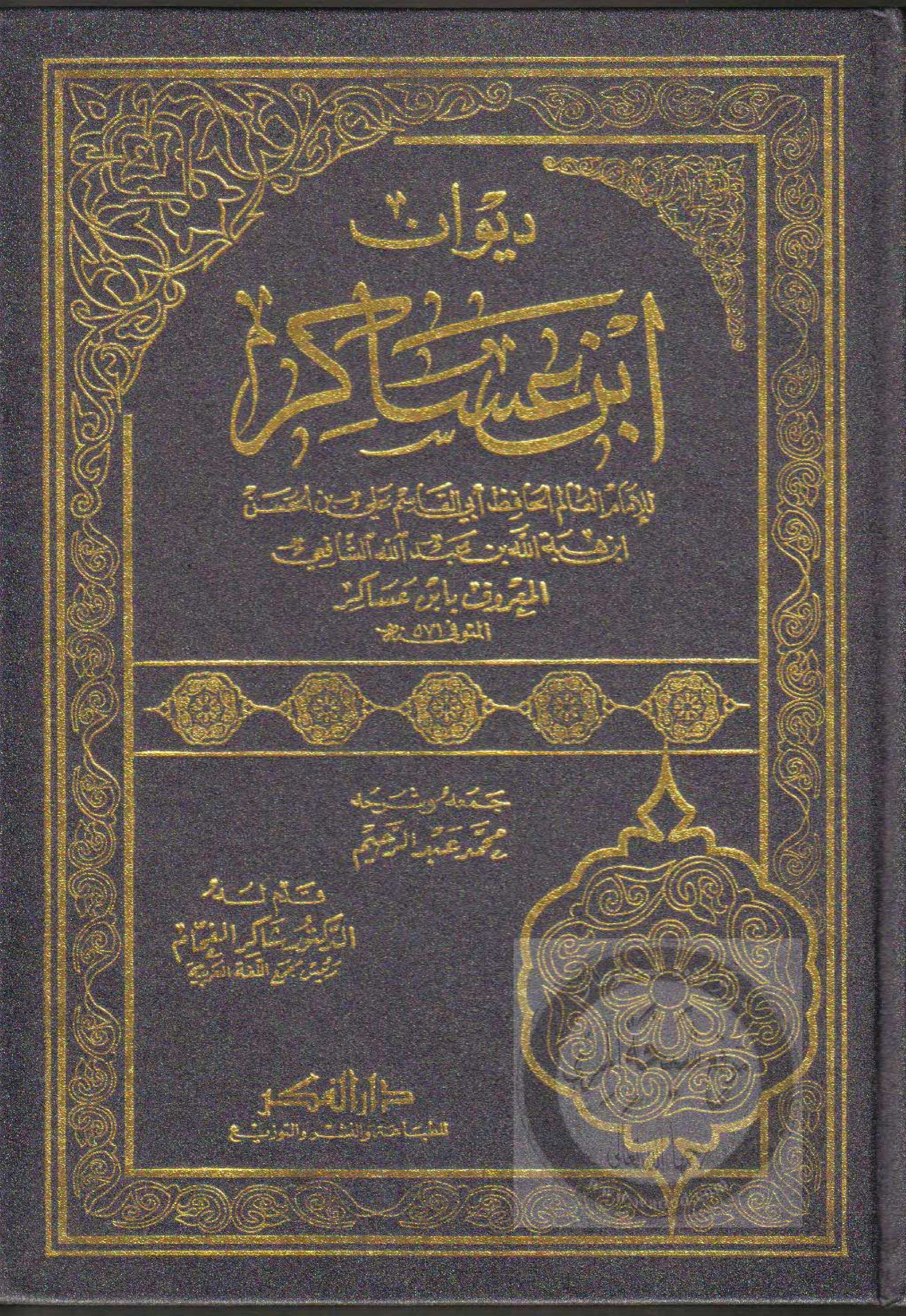
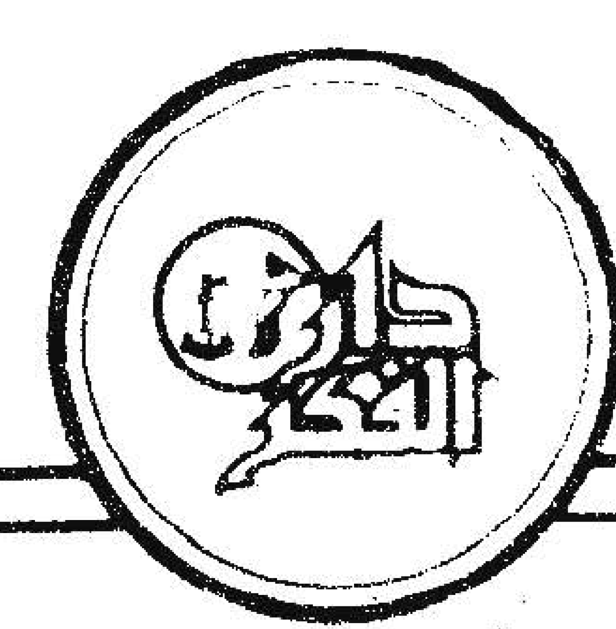
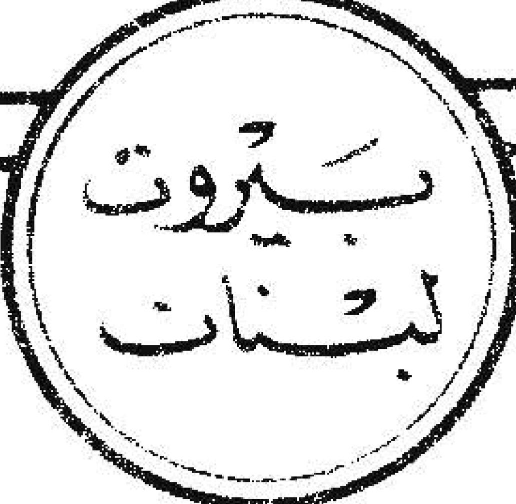

ديوان
ابن عساكر
للإمام العالم الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن
ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي
المعروف بابن عساكر
المتوفى ٥٧١ هـ
جمعه وشرحه
محمد عبد الرحيم
قدم له
الدكتور شاكر الفحام
رئيس مجمع اللغة العربية
دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع

١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م



Email: darelfkr@cyberia.net.lb
E-mail: darlfikr@cyberia.net.lb
Home Page: www.darelfikr.com.lb

حارة حريك - شارع عبد النور - برقيا: فكسي - ص.ب: ١١/٧٠٦١
تلفون: ٥٥٩٩٠٠ - ٥٥٩٩٠١ - ٥٥٩٩٠٢ - ٥٥٩٩٠٣
فاكس: ٠٠٩٦١١٥٥٩٩٠٤





ديوان
ابن عساكر

للإمام العالم الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن
ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي
المعروف بابن عساكر
المتوفى سنة ٥٧١ هـ

جمعه وشرحه
محمد عبد الرحيم

قدم له
الدكتور شاكر الفحام
رئيس مجمع اللغة العربية

دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع



ابن عساكر إمام المحدّثين

في وقته، من انتهت إليه الرِّئاسة

في الحفظ، والإتقان، والمعرفة التامة،

والثّقة، وبه خُتم هذا الشّأن.

- الحافظ ابن النَّجار-





بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمة

الحمد لله عاصمِ من اصطفاه لحضرته، وراحم من اجتباه لخدمته، الذي لا يَعْبُدُه عابدٌ إلاَّ بسابق نعمته، ولا يقصده قاصدٌ الاَّ بصادق دعوته، ولا يحمده حامد إلاَّ بلاحق مِنَّتِه، ولا يَخْلُدُ في جنَّته خالدٌ إلاَّ بخالص رحمته.

أحمده معترفاً بالعجز عن إحصاء أبديَّته.

وأشهد أَن لا إله إلاَّ الله إظهاراً لربوبيته.

وأشهد أن سيِّدنا محمداً خاتم رسالته ونبوته، أفضل المعصومين، وأَجلّ المرسلين، وأَجمل العابدين، وأَسبقهم في معارج القرب بقوّته.

صلَّى الله عليه وعلى آله وذرِّيته، بدوام علمك الكريم وإحاطته.

وبعد؛

تكلّم النّاس في إنشاد الشِّعر، فكرهه بعضهم، ورخَّص فيه آخرون، فأمّا من كرهه فاحتجَّ بما روي عن رسول الله ﷺ: **«لأَنْ يَمْتَلِىءَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيحاً خَيْرٌ لَهُ أَنْ يَمْتَلىءَ شِعْراً»**(١)!

وقال الله عزّ وجلّ:

﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (٦١٥٤)، وأبو داود في سننه: (٥٠٠٩)، والترمذي في سننه: (٢٨٥١) و(٢٨٥٢)، وابن ماجه في سننه: (٣٧٥٩)، (٣٧٦٠)، وأحمد في المسند: (١/ ١٧٥ و ١٧٧)، (٢/ ٣٩ و ٣٩١)، وهو في مسند أحمد - طبعة الدار -: (٧٨٧٩) و (٨٣٨٣) و (٨٦٦٣) و (٩٠٩٧) و(١٠٢٠١) و (١٠٢٢٤)، والبيهقي في السنن الكبرى: (١٠/ ٢٤٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد: (٨/ ١٢٠)، وهو في مجمع الزوائد - طبعة الدار -: (١٣٣٠٢)، والطبراني في المعجم الكبير: (١٢/ ٢١٨)، وابن حجر في المطالب العالية: (٢٥٧٧)، وابن حجر في فتح الباري: (١٠/ ٥٤٨)، والسيوطي في الدر المنثور: (٥/ ١٠٠).

(٢) سورة الشعراء، الآية (٢٢٤).

وعن الشّعبي [١] قال:

كانوا يكرهون أن يكتبوا أمام الشّعر: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [٢].

وروي عن مسروق بن الأجدع [٣] أنّه كان يتمثّل بيتاً من شعرٍ فقطّعه، فقيل له:

- لو أتممت البيت؟

فقال: إنّي لأكره أن أجد في كتابي بيتاً من الشّعر [٤].

وسُئل أحد الصّالحين عن قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [٥].

قال: الغناء والشّعر.

وروى عطاء بن دينار [٦] قال:

- إنّ إبليس [٧] اللّعين قال:

---

(١) الشّعبي: هو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار الشّعبي الحميري، أبو عمرو، راوية، من التابعين، يُضرب المثل بحفظه.

ولد الشعبي في الكوفة سنة ١٩ هـ الموافق ٦٤٠ م، ونشأ فيها، ومات فيها فجأة سنة ١٠٣ هـ الموافق ٧٢١ م.

اتّصل الشّعبي بعبد الملك بن مروان، فكان نديمه وسميره ورسوله إلى ملك الرّوم.

كان الشّعبي ضئيلاً نحيفاً، ولد لسبعة أشهر.

سئل الشّعبي عمّا بلغ إليه حفظه، فقال: ما كتبتُ سوداء في بيضاء، ولا حدّثني رجلٌ بحديثٍ إلاّ حفظته.

وهو من رجال الحديث الثقاة، استقضاه عمر بن عبد العزيز، وكان فقيهاً شاعراً.

(٢) بستان العارفين: (٢٥).

(٣) مسروق بن الأجدع: بن مالك الهمداني الوادعي، أبو عائشة، تابعي ثقة. من أهل اليمن، قدم المدينة المنوّرة في أيام أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه، وسكن الكوفة.

شهد مسروق حروب علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، وكان أعلم بالفتيا من شريح، وشريح أبصر منه بالقضاء.

توفي مسروق بن الأجدع سنة ٦٣ هـ الموافق ٦٨٣ م.

(٤) بستان العارفين: (٢٦).

(٥) سورة لقمان، الآية (٦) ﴿لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾: الباطل الملهي عن الخير والعبادة.

(٦) عطاء بن دينار: الهذلي، المصري، من رجال الحديث، له كتابٌ في التفسير، يرويه عن سعيد بن جبير، توفي في مصر سنة ١٢٦ هـ الموافق ٧٤٤ م.

(٧) إبليس: قال النّسّابة ابن حبيب في المحبر: (٣٩٥): ذكر إسحاق بن الطالقاني عن جرير عن ليث عن مجاهد قال: ولد إبليس خمسة قسّم الشّرّ بينهم وهم:

١ - الثّبر: صاحب المصيبات.

٢ - زلفيون: الذي ينزع بين النّاس.

٣ - دامس: صاحب الوسواس. =

- يا ربِّ . . . أَخرجتني من الجنّة لأَجل آدم، فأينَ بيتي؟

قال: الحمّام.

قال: فأين مجلسي؟

قال: السُّوق.

قال: فما قراءتي؟

قال: الشِّعر.

قال: فما حبابي؟

قال: النِّساء.

قال: فما حديثي؟

قال: الغيبة والكذب.

وأَما حجّة من أَباح ذلك فما روي عن هشام بن عروة[1] عن أبيه قال:

قال رسول الله ﷺ:

«إنَّ منَ الشِّعرِ حَكمَةً»[2].

= ٤ - الأعور: صاحب الزّنى.

٥ - مِسْوط: صاحب الرّاية يركّزها وسط السُّوق يغدو مع أول من يغدو، فيطرح بين الناس الخصومات والجدال.

(١) هشام بن عروة: بن الزُّبير بن العوام القرشي الأسدي، أبو المنذر، تابعي من أئمة الحديث، من علماء المدينة.

ولد هشام بن عروة في المدينة سنة ٦١ هـ الموافق ٦٨٠ م، وعاش فيها، وزار الكوفة، فسمع منه أهلها، ودخل بغداد وافداً على المنصور العباسي، فكان من خاصّته، وتوفي في بغداد سنة ١٤٦ هـ الموافق ٧٦٣ م، روى نحو أربعمائة حديث، وأخباره كثيرةً.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه: (٥٠١٠)، وأحمد في المسند: (١/٢٦٩ و ٢٧٣ و ٣٠٣ و ٣٠٩ و ٣١٣ و٣٢٧)، (٥/ ١٢٥) وهو في مسند أحمد - طبعة الدار -: (٢١٢١٢) و (٢١٢١٣) و (٢١٢١٤) و(٢١٢١٥) و (٢١٢١٦) و(٢١٢١٧) و (٢١٢١٨) و (٢١٢١٩) و (٢١٢٢٠) و (٢١٢٢١) و(٢١٢٢٢)، والدارمي في سننه: (٢/ ٢٩٧) والبيهقي في السنن الكبرى: (٥/ ٦٨) و (١٠/ ٣٣٧ و ٢٤١)، والهيثمي في موارد الظمآن: (٢٠٠٩) و (٢٠١٧)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٦/ ٢١٢)، والطبراني في المعجم الكبير: (١٠/ ٢٠٧) و (١٢/ ٢٠٠) و(١٧/ ١٩)، والهيثمي في مجمع الزوائد: (٨/ ١٢٣)، وهو في مجمع الزوائد - طبعة الدار -: (١٣٣٢٥)، والتبريزي في مشكاة المصابيح: (٤٧٨٤)، وابن حجر في فتح الباري: (١٠/ ٥٣٧ و ٥٤٠)، والسُّيوطي في الدر المنثور: (٥/ ٢٠٠ و ١٠١)، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: (١٣/ ١٢٢)، وأبو نعيم في الحلية: (٨/ ٣٠٩).

وعن هشام بن عروة عن أَبيه قال:

ما رأَيتُ امرأَةً أعلم بشعْرٍ، ولا بطبٍّ، ولا بلُغَةٍ، ولا بفقهٍ، من السَّيِّدة عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها.

وعن جابر بن سمرة[١] رضي الله عنه قال:

كان أصحاب النَّبيِّ ﷺ يتناشدون الشِّعر والنَّبيُّ ﷺ بينهم جالسٌ يتبسَّم.

وعن عبد الله بن العباس[٢] رضي الله عنهما قال:

إذا قرأ أَحدُكم شيئاً من القرآن، فلا يدرِ ما تفسيره فليلتمسه في الشِّعر، فإنَّ الشِّعر ديوان العرب.

وقيل لأَبي الدَّرداء[٣]:

---

(١) جابر بن سمرة: بن جنادة السوائي، صحابيٌّ، كان حليف بني زهرة، له ولأبيه صحبة، نزل جابر الكوفة، وابتنى بها داراً، وتوفي في ولاية بشر على العراق سنة ٧٤ هـ الموافق ٦٩٣ م.

(٢) عبد الله بن العباس: بن عبد المطلّب القرشي الهاشمي، أبو العباس، حبر الأمة، الصحابي الجليل، ولد ابن عباس بمكة سنة ٣ ق. هـ الموافق ٦١٩ م، ونشأ في عصر النُّبوَّة، فلازم رسول الله ﷺ، وروى عنه الأحاديث الصحيحة، وشهد مع علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه صفين والجمل، وكفَّ بصره في آخر عمره، فسكن الطائف، وتوفي بها سنة ٦٨ هـ الموافق ٦٨٧ م، وله في الصحيحين وغيرهما ١٦٦٠ حديثاً.

قال عبد الله بن مسعود: نعم ترجمان القرآن ابن عبّاس.

وقال عمرو بن دينار: ما رأيت مجلساً كان أجمع لكل خير من مجلس ابن عباس، الحلال، والحرام، والعربيّة، والأنساب، والشِّعر.

وقال عطاء: كان ناسٌ يأتون ابن عبّاسٍ في الشِّعر والأنساب، وناسٌ يأتونه لأيَّام العرب ووقائعهم، وناسٌ يأتونه للفقه والعلم، فما منهم صنفٌ إلاّ يقبل عليهم بما يشاؤون.

وكان كثيراً ما يجعل أيَّامه يوماً للفقه، ويوماً للتأويل، ويوماً للمغازي، ويوماً للشِّعر، ويوماً لوقائع العرب.

وكان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا أعضلت عليه قضيَّةٌ دعا عبد الله بن عبّاس وقال له: أنتَ لها ولأمثالها، ثمّ يأخذ بقوله ولا يدعو لذلك أحداً سواه.

وكان عبد الله بن العباس آيَةً في الحفظ، أنشده عمر بن أبي ربيعة قصيدته التي مطلعها:

أمِـنْ آل نـعـمٍ أنـتَ غـادٍ فـمـبـكـر ... غـداة غـدٍ أم رائـحٍ فـمـهـجـر

فحفظها في مرة واحدةٍ، وهي ثمانون بيتاً.

وكان ابن عباس إذا سمع النّوادب سدَّ أذنيه بأصابعه مخافة أن يحفظ أقوالهنّ.

(٣) أبو الدّرداء: هو عويمر بن مالك بن قيس بن أميّة الأنصاري الخزرجي، صحابيٌّ من الحكماء الفرسان القضاة، كان قبل البعثة تاجراً بالمدينة، ثم انقطع للعبادة، ولما ظهر الإسلام اشتهر بالشّجاعة والنّسك. =

- كلُّ الأَنصار يقولون الشِّعر غيركَ.

فقال: وأَنا أقول أَيضاً الشِّعر.

ثمّ قال بعد ذلك:

يُريدُ المَرْءُ أن يُعْطَىٰ مُناهُ
وياْبَىٰ اللَّهُ إِلاَّ ما أَرَادَا

يَقُولُ المَرْءُ فائِدتي ومَالي
وتَقْوَى اللَّه أكثَر مَا اسْتَفَادا

فلأنَّكَ يا ابنَ آدَمْ في غُروبٍ
فَقَدْ قَامَ المُنَادي صَاحَ نادَىٰ

بأَنَّ المَوْتَ طالِبُكُمْ فَهُبُّوا
لِهذا الموت راحِلةً وَزَادا

فيما قيل في أشعار النَّبيِّ ﷺ:

تكلّم النَّاس في رواية الشعر عن رسول الله ﷺ.

فقال بعضهم: لم يثبت عنه شعرٌ، واحتجُّوا بما روي عن السيِّدة عائشة[1] رضي الله

= وفي الحديث النبوي الشَّريف: «عُوَيْمر حَكِيمُ أُمَّتي» - أخرجه الهندي في كنز العمال: (٣٣١٣٢)، و «نِعْمَ الفَارِسُ عُوَيْمرُ» - أخرجه الحاكم في المستدرك: (٣/٣٣٧)، وابن سعد في الطبقات: (٧/١١٧)، والهندي في كنز العمال: (٣٣٥١١).

ولاَّه معاوية بن أبي سفيان قضاء دمشق بأمرٍ من عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو أوّل قاضٍ بها.

قال ابن الجزري: كان من العلماء الحكماء.

وهو أحد الذين جمعوا القرآن حفظاً علىٰ عهد النَّبيِّ ﷺ بلا خلافٍ، وتوفي بالشام سنة ٣٢ هـ الموافق ٦٥٢ م.

(١) السيدة عائشة: بنت أبي بكر الصِّدِّيق عبد الله بن عثمان، من قريش، أفقه نساء المسلمين وأعلمهنّ بالدِّين والأدب، ولدت سنة ٩ ق. هـ الموافق ٦١٣ م، وتزوّجها رسول الله ﷺ في السّنة الثانية من الهجرة، فكانت أحبّ نسائه إليه، وأكثرهن رواية للحديث عنه، ولها خطبٌ ومواقف، وما كان يحدث لها أمر إلاّ أنشدت فيه شعراً.

وكان أكابر الصّحابة يسألونها عن الفرائض فتجيبهم، وكان (مسروق) إذا روى عنها يقول: حدثتني الصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق.

كانت عائشة ممن نقم على عثمان بن عفّان عمله في حياته، ثم غضبت له بعد مقتله، فكان لها في هودجها بوقعة الجمل موقفها المعروف.

توفيت السيدة عائشة رضي الله عنها سنة ٥٨ هـ الموافق ٦٧٨ م.=

عنها أنّه قيل لها:

- هل كان النّبيُّ ﷺ يتمثّل بالشّعر؟

قالت: كان أبغض الحديث إليه الشّعر، غير أنّه تمثّل مرّةً ببيت أخي ابن قيس بن طرفة[١]، فجعل آخره أوله وهو قوله:

سَتُبْدي لَكَ الأَيّامُ ما كُنْتَ جَاهِلاً

ويَأْتيكَ بالأَخْبارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

فجعل رسول الله ﷺ يقول:

«يَأْتيكَ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ بالأَخبَارِ»[٢]!

فقال له أبو بكر الصّديق[٣] رضي الله عنه:

=روي عنها رضي الله عنها ٢٢١٠ أحاديث.

(١) أخي ابن قيس بن طرفة: هو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي، أبو عمرو، شاعرٌ، جاهليٌّ، من الطّبقة الأولى.

ولد طرفة في بادية البحرين سنة ٨٦ ق. هـ الموافق ٥٣٨ م، وتنقّل في بقاع نجد، واتّصل بالملك عمرو ابن هند، فجعله من ندمانه ثم أرسله بكتاب إلى المكعبر (عامله على البحرين) يأمره فيه بقتله، لأبياتٍ بلغ الملك أنّ طرفة هجاه بها، فقتله المكعبر شاباً في هجر سنة ٦٠ ق. هـ الموافق ٥٦٤ م، قيل: ابن عشرين عاماً، وقيل: ابن ست وعشرين.

(٢) بستان العارفين: (٢٦).

(٣) أبو بكر الصّديق: هو عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن كعب التيمي القرشي، أول الخلفاء الراشدين، وأوّل من آمن برسول الله ﷺ من الرّجال، وأحد أعاظم العرب.

ولد أبو بكر بمكة سنة ٥١ ق. هـ الموافق ٥٧٣ م، ونشأ سيّداً من سادات قريش، وغنيّاً من كبار موسريهم، وعالماً بأنساب القبائل وأخبارها وسياستها، وكانت العرب تلقبه بعالم قريش، وحرّم على نفسه الخمر في الجاهلية، فلم يشربها، ثمّ كانت له في عصر النّبوّة مواقف كبيرة، فشهد الحروب، واحتمل الشدائد، وبذل الأموال، وبويع بالخلافة يوم وفاة النّبيّ ﷺ سنة ١١ هـ، فحارب المرتدين والممتنعين من دفع الزكاة، وافتتحت في أيامه بلاد الشام وقسمٌ كبيرٌ من العراق، واتّفق له قوادٌ أمناء كخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وأبي عبيدة بن الجراح، والعلاء بن الحضرمي، ويزيد بن أبي سفيان، والمثنى بن حارثة.

كان أبو بكر موصوفاً بالحلم والرأفة بالعامة، خطيباً لسناً، وشجاعاً بطلاً. ومدة خلافته سنتان وثلاثة أشهر ونصف شهر، وتوفي في المدينة سنة ١٣ هـ الموافق ٦٣٤م. وله في كتب الحديث ١٤٢ حديثاً.

قيل: كان لقبه (الصّدّيق) في الجاهليّة، وقيل: في الإسلام لتصديقه النّبي ﷺ في خبر الإسراء، وأخباره كثيرةٌ جدّاً.

- ليس هكذا يا رسول الله.

فقال رسول الله ﷺ: «مَا أَنَا بِشَاعِرٍ وَمَا يَنْبَغي لي»[١].

ومصداق ذلك في كتاب الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾[٢].

وقال بعضهم: يجوز عليه كما جاء في الأخبار، وما روى طاوس[٣] أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال يوم الخندق:

اللَّهُمَّ لاَ عَيْشَ إلاَّ عَيْشُ الآخِرَهْ
فاغْفِرْ للأَنْصَارِ والمُهَاجِرَهْ[٤]

فأجاب الأنصار هذا الشّعر:

نَحْنُ الّذينَ بَايَعُوا مُحَمَّدا
عَلَى الوَفَاءِ مَا بَقِينَا أَبَدا

وعن سلمان الفارسي[٥] رضي الله عنه قال:

---

(١) بستان العارفين: (٢٦).
(٢) سورة يس، الآية: (٦٩).

(٣) طاوس: هو طاوس بن كيسان الخولاني الهمداني بالولاء، أبو عبد الرَّحمن، من أكابر التابعين، تفقهاً في الدِّين، ورواية للحديث، وتقشّفاً في العيش، وجرأة على وعظ الخلفاء والملوك.
أصله من الفرس، وولد في اليمن سنة ٣٣ هـ الموافق ٦٥٣م، ونشأ فيها، وتوفي حاجاً بالمزدلفة أو بمنى سنة ١٠٦ هـ الموافق ٧٢٤م، وكان هشام بن عبد الملك حاجّاً تلك السّنة، فصلّى عليه، وكان يأبى القرب من الملوك والأمراء.
قال سفيان بن عيينة: متجنبو السُّلطان ثلاثة: أبو ذر، وطاوس، والثوري.

(٤) أخرجه أحمد في المسند: (٣/١٦٩ و ٢١٠)، وهو في مسند أحمد - طبعة الدار -: (١٢٧٢٢) و(١٢٧٣٢) و (١٣١٢٥) و (١٣١٩٠) و (١٣٥٦٢) و (١٣٩٥٧)، والبيهقي في السنن الكبرى: (٩/٣٩)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار: (٢/٢٧٢)، والهندي في كنز العمال: (٢٩٩٠٥) و (٢٩٩٠٦)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين: (٦/٤٨٠)، (٩/٨٥)، وابن حجر في فتح الباري: (١/٥٢٤) و(٢/٣٩٢) و (٧/٢٤٧)، والبيهقي في دلائل النبوة: (٢/٢٥٩)، والسيوطي في جمع الجوامع: (٩٦٨٦).

(٥) سلمان الفارسي: صحابيٌّ، من مقدّميهم، كان يُسَمِّي نفسه سلمان الإسلام، أصله من مجوس أصبهان، عاش عمراً طويلاً، واختلفوا فيما كان يُسَمِّي به نفسه في بلاده، وقالوا: نشأ في قرية جيان، ورحل إلى الشام، فالموصل، فنصيبين، فعمورية، وقرأ كتب الفرس، والرُّوم، واليهود، وقصد بلاد العرب، فلقيه ركبٌ من بني كلب فاستخدموه، ثم استعبدوه وباعوه، فاشتراه رجلٌ من قريظة، فجاء به إلى المدينة، وعلم سلمان بخبر الإسلام، فقصد النَّبيَّ ﷺ بقباء، وسمع كلامه، ولازمه أيّاماً، وأبى أن يتحرّر بالإسلام، فأعانه المسلمون على شراء نفسه من صاحبه، فأظهر إسلامه، وكان قويَّ الجسم، =

- ضرب رسول الله ﷺ في الخندق معوله فقال:

بِـــسْـــمِ اللهِ وَبِـــهِ بَـــديـــنـــا

وَلَـــوْ عَـــبَـــدْنـــا غَـــيْـــرَه شَـــقـــيـــنَـــا

فَـــحَـــبَّـــذا رَبّـــاً وَحَـــبَّ ديـــنـــا[(١)]

وعن البراء بن عازب[(٢)] رضي الله عنه قال:

إنَّ النَّبيَّ ﷺ قال:

أَنَـــا الـــنَّـــبـــي لاَ كَـــذِبْ

أَنَـــا ابْـــنُ عَـــبْـــدِ الـــمُـــطَّـــلِـــبْ[(٣)]

= صحيح الرأي، عالماً بالشَّرائع وغيرها، وهو الذي دلَّ المسلمين على حفر الخندق في غزوة الأحزاب، حتى اختلف عليه المهاجرون والأنصار، كلاهما يقول: سلمان منا، فقال رسول الله ﷺ: «سَلْمَان مِنَّا أهل البيتِ».

سئل عنه عليّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهه فقال: امرؤٌ منا وإلينا أهل البيت، من لكم بمثل لقمان الحكيم، علم العلم الأول، والعلم الآخر، وقرأ الكتاب الأول، والكتاب الآخر.

كان سلمان بحراً لا ينغرف، وجعل أميراً على المدائن، فأقام فيها إلىٰ أن توفي سنة ٣٦ هـ الموافق ٦٥٦م، وكان إذا خرج عطاؤه تصدّق به، ينسج الخوص، ويأكل خبز الشعير من كسب يده.

روى سلمان رضي الله عنه (٦٠) حديثاً عن رسول الله ﷺ.

(١) أخرجه ابن حجر في فتح الباري: (٧/٣٩٧)، وابن حجر في المطالب العالية: (٤٣٣١)، وابن كثير في البداية والنهاية: (٤/ ٩٧).

(٢) البراء بن عازب: بن الحارث الخزرجي، أبو عمارة، قائدٌ صحابيٌ من أصحاب الفتوح، أسلم البراء صغيراً، وغزا مع رسول الله ﷺ خمس عشرة غزوة، أوّلها غزوة الخندق، ولما ولي عثمان بن عفان رضي الله عنه الخلافة جعله أميراً على الرّيّ (بفارس) سنة ٢٤ هـ، فغزا أبهر (غربي قزوين) وفتحها، ثمّ قزوين فملكها، وانتقل إلى زنجان فافتتحها عنوةً، وعاش إلى أيام مصعب بن الزُّبير، فسكن الكوفة، واعتزل الأعمال.

توفي البراء بن عازب سنة ٧١ هـ الموافق ٦٩٠م.

روى له الإمام البخاري في صحيحه، والإمام مسلم في صحيحه (٣٠٥) أحاديث عن رسول الله ﷺ.

(٣) أخرجه أحمد في المسند: (١/ ٢٦٤) و (٤/ ٢٨٠ و٢٨١ و ٢٨٩ و٣٠٤)، وهو في مسند أحمد - طبعة الدار-: (١٨٤٩٤) و (١٨٤٩٥) و (١٨٥٠٢) و (١٨٥٦٥) و(١٨٧٣١)، والدارمي في سننه: (١/ ١٦٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٥٥)، وأبو نعيم في الحلية: (٧/ ١٣٢)، والهندي في كنز العمال: (٣٠٢٠٦) و (٣٠٢٠٧) و (٣٠٢٠٨) و (٣٠٢١٩) و (٣١٨٧٢) و (٣٢٠٨٥)، والتبريزي في مشكاة المصابيح: (٤٨٩٥) و (٥٨٨٩)، والطبراني في المعجم الكبير: (٦/ ٤٣)، والسيوطي في الدر المنثور: (٣/ ٢٢٥).

وروى الأسود بن قيس عن جندب رضي الله عنه قال:

إنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يَمْشي في الطَّريق فعثر، فأصاب إصبعه فدميت فقال رسول الله ﷺ:

هَــلْ أنْــتِ إلاَّ إصــبــعٌ دَمِــيْــتِ

وفــي سَــبــيــلِ الله مــا لــقــيْــتِ[1]

فمما تقدَّم نجد أنَّ الأخبار صحيحةٌ، ولكن يحتمل أنَّه لم يقصد بهٰذه الأخبار الشِّعر، ولكنَّه خرج موافقاً للشِّعر من غير أن يقصد به شعر، وهٰذه الأبيات التي رويت عنه إنَّما هي من بحر الرَّجز[2]، والرَّجز لا يكون شعراً، وإنَّما هو مثل السَّجع[3] من الكلام.

والكتاب الذي بين يديك: [ديوان ابن عساكر] كتاب جديد في هٰذا المجال، لم يسبقني أحدٌ في إنجاز مثله، وخاصَّةً أن مؤلِّفه الكبير والذي حمل عنوان (تاريخ مدينة دمشق) قامت بطباعته مؤخراً (دار الفكر في بيروت).

عملي في الكتاب:

قسَّمت كتابي إلى عدَّة أبوابٍ رئيسة هي:

المقدمة:

عرَّفت في مقدِّمتي ما يجب تعريفه عن الشِّعر وإنشاده، وفيما قيل في أشعار رسول الله ﷺ.

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه: (٢٨٠٢)، والترمذي في سننه: (٣٣٤٥)، وأحمد في المسند: (٤/ ٣١٢ و ٣١٣)، وهو في مسند أحمد - طبعه الدار-: (١٨٨٢٠) و (١٨٨٣٠)، والطبراني في المعجم الكبير: (٢/ ١٨٥)، والحميدي في المسند: (٧٧٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٤٤)، وابن أبي شيبة في المصنف: (٨/ ٥٢٨)، والترمذي في شمائل الرسول: (١٢٤) و (١٢٥)، والهيثمي في مجمع الزوائد: (١٠/ ٣٢٦ و ٣٢٧)، وهو في مجمع الزوائد - طبعة الدار-: (١٨٣٠١)، والهندي في كنز العمال: (١٨٦٩٧)، وابن حجر في فتح الباري: (١٠/ ٥٣٧)، والسيوطي في الدر المنثور: (٦/ ٣٦٠)، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: (٤/ ٢٧١).

(2) الرجز: في العروض؛ أحد بحور الشعر، وأصل وزنه:

مستفعلن مستفعلن مستفعلن   مستفعلن مستفعلن مستفعلن

(3) السجع: في البديع: هو الكلام المنثور المقفّى.

كلمة التقديم:

تكرم الأستاذ الدُّكتور شاكر الفحّام رئيس مجمع اللُّغة العربيَّة بدمشق بكتابة هٰذه الكلمة الهادفة عن الحافظ ابن عساكر والحقبة الزَّمنيَّة التي أحاطت به، جسَّد في كلمته حوالي قرناً من الزَّمان عمَّت أحداثه هذا الوطن الواسع الشّاسع من محيطه إلى خليجه.

سيرة الإمام ابن عساكر:

أوردت في الكتاب ترجمةً موجزةً عن ابن عساكر، فعملي يتميز بإبراز الشّعر عنده.

قالوا في ابن عساكر:

جمعتُ بعض أقوال العلماء والأدباء في حقِّ هذا الإمام الجليل.

من أقوال ابن عساكر:

تجد في هذا الباب باقةً لا بأس بها من أقوال الحافظ ابن عساكر، جمعتها من تاريخه، ومن المصادر الأخرى.

ديوان الإمام ابن عساكر:

وهنا بيت القصيد.

أ - رتّبتُ أَبيات الديوان حسب حروف المعجم، معتمداً في الترتيب على الضَّمَّة، ثمَّ الفتحة، ثم الكسرة، ثُمَّ السُّكون.

ب - أفردت لكُلِّ قصيدة عنواناً يلائم موضوعها.

ج - شرحتُ غريب الكلمات معتمداً على أهم المعاجم والقواميس العربية كالتّاج، واللّسان، والعين، وغيرها.

د - عرّفت جميع الأعلام التي وردت في الشّعر وفي غيره، مهما كان هذا العلم مشهوراً ومعروفاً.

هـ - خرجت جميع الآيات القرآنية والأحاديث النّبويّة الشّريفة.

و - أشرتُ في نهاية القصيدة أو الأبيات إلى المصادر والمراجع التي أسقيت الشّعر منها.

الفهارس:

ثبّتُّ في نهاية الدّيوان الفهارس الفنية التالية:

أ - فهرس الآيات القرآنية الكريمة.

ب - فهرس الأحاديث النّبويَّة الشريفة.

ج - فهرس القوافي مع ذكر بحورها وعدد أبياتها.

د - فهرس الأعلام المعرّف بهم.

هـ - فهرس الأماكن المعرف بها.

و - فهرس المراجع والمصادر، والذي جاوز .

أخيراً:

في نهاية كلمتي المتواضعة لا يسعني إلاَّ أن أشكر الأستاذ الفاضل الدكتور شاكر الفحّام رئيس مجمع اللّغة العربية بدمشق الذي أتحف كتابنا بكلمته الهادفة، وأشكر السادة أصحاب دار الفكر في بيروت الذين وضعوا نصب أعينهم إغناء المكتبة الإسلامية والعربية بالكتب النادرة.

وأسأل المولٰى العليّ القدير، الرّؤوف الرّحيم، أَن يعلّمنا، وينفعنا بما علّمنا، ويُسَدِّد خطانا، وأن يحشرنا وإياكم مع رسولنا الحبيب سيّدنا محمد ﷺ والنّبيين، والصّدّيقين والأئمّة الطّاهرين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

محمد عبد الرحيم

دمشق في

٥ / رجب/ ١٤٢١ هـ

٣ / تشرين أول/ ٢٠٠٠م

كان ابن عساكر أحد أئمة

الحديث المشهورين والعلماء المذكورين،

سمع الكثير، وسافر، وصنَّف

تاريخاً لدمشق، وصنَّف كتباً

كثيرة، وكان إِماماً في الفنون

فقيهاً، محدِّثاً، حافظاً، مؤرّخاً.

يوسف بن تغري بردي

كلمة التَّقديم

للدكتور شاكر الفحّام

طلع القرن الخامس الهجريُّ علىٰ الأُمَّة العربيّة يحمل لها في طيّاته الجنىٰ المرَّ، والحصاد المستبشع، لما خلفته بذور المنازعات والخصومات والتَّفكُّك والتَّحلُّل التي استحكمت، واستشرَتْ فِتَنُها طوال قرنِ سلف، أو يزيد، لم تنفع فيها حكمةُ الحكماء المصلحين، ولا إنذارُ النَّاصحين المشفقين.

سقطت الدَّولة الأُمويّة في الأَندلس، لتخلُفَها دويلاتُ الطَّوائف الضَّعيفة الخائرة، تتناحرُ فيما بينها أشدَّ التَّناحر، لا رحمة ولا بُقيا، وتستخذي لأعدائها ذليلةً خانعةً، تُقدمُ لهم الجِزىٰ تسترضيهم بها، وهم ينتقصون من أَطرافها:

مـمَّـا يـزهّـدُنـي فـي أَرض أنـدلـس
أسـمـاءُ مـعـتـضـدٍ فـيـهـا ومـعـتـمـدِ

حتّى كانت الكارثة الكبرىٰ بسقوط طليطلة[١] سنة ٤٧٨ هـ ولم يقف الزَّحف المتدفّق من الشَّمال إِلاَّ واقعة الزَّلاقة[٢] سنة ٤٧٩ هـ، ومرابطو يوسف بن تاشفين[٣].

---

١) طليطلة: مدينةٌ في أَواسط إسبانيا قرب مدريد، فتحها طارق بن زياد سنة ٧١٤م.

٢) الزَّلأقة: موضعٌ في إسبانيا بالقرب من غرناطة، هزم فيه يوسف بن تاشفين سلطان المرابطين ألفونس السَّادس ملك ليون وقشتالة.

٣) يوسف بن تاشفين: بن إبراهيم المصالي الصّنهاجي اللمتوني الحميري، أبو يعقوب، أمير المسلمين، وملك الملثمين، سلطان المغرب الأقصىٰ، وباني مدينة مراكش، وأوّل من دعي بأمير المسلمين.

ولد يوسف بن تاشفين في صحراء المغرب سنة ٤١٠ هـ الموافق ١٠١٩ م، وولاّه ابن عمّه أبو بكر بن عمر اللّمتوني إمارة البربر، وبايعه أشياخ المرابطين، وجال جولةً في المغرب بجيشٍ كبيرٍ، فقوي أمره، واستولىٰ علىٰ مدينة فاس، وغزا الأندلس فصالحه ملوكها علىٰ الطّاعة له، واستخلفه أبو بكر بن عمر علىٰ المغرب سنة ٤٦٣ هـ فاستقلّ به، وبنى مدينة مراكش سنة ٤٦٥هـ، وكتب إليه المعتمد بن عبّاد سنة٤٧٥ هـ من إشبيلية يستنجده علىٰ قتال الفرنج، فزحف بجموعه، فكانت وقعة (الزّلاقة) المشهورة التي انكسر فيها جيش الفرنج الزّاحف من طليطلة، كسرةً شديدةً سنة ٤٧٩ هـ وبايعه بعد انتهاء الوقعة، من شهدها معه من ملوك الأندلس وأُمرائها، وكانوا ثلاثة عشر ملكاً، فسلّموا عليه بأمير المسلمين، وكان يدعىٰ بالأَمير، وضرب السّكّة من يومئذٍ وجدّدها، ونقش ديناره (لا إله إلاّ الله محمد رسول الله) وتحت ذلك (أَمير المسلمين يوسف بن تاشفين). وعاد إلىٰ مراكش، وهو علىٰ اتّصال بإشبيلية وغيرها، ثمّ لم يلبث أن سيَّر الجيوش إلى الأندلس، ودخل غرناطة في السنة نفسها، وفيها آخر الصّنهاجيين عبد الله بن بلكين، فامتلكها وأخذ ابن عبد الله بن بلكين معه إلىٰ مراكش، واستولى قائد جيشه (شير بن أبي بكر) =

واستبسل عربُ صقلية في الدِّفاع عن أَرضهم التي أَحبُّوا، ولم تُجدِ المقاومة الطَّويلة العنيدة التي أَبدوها، بدَّدتها الحكّام ونزواتهم لتذهب التَّضحيات أدراج الرِّياح، وتمَّ للفرنج الاستيلاء علىٰ جميع الجزيرة بعد نضالٍ عربيٍّ دام مرير سنة ٤٨٤ هـ، واندفع الفرنج من بعد ليتطرّقوا إلى أطراف أفريقية (تونس) وما حولها، يغيرون ويسلبون.

لـقـدَّرتُ أرضـي أن تـعـودَ لـقـومِـهـا
فـسـاءت ظـنـونـي ثـمَّ أصبـحـتُ يـائـسـا

صِـقـلـيَّـةُ كـادَ الـزَّمـانُ بـلادَهـا
وكـانـت عـلـىٰ أهـل الـزَّمـانِ مـحـارسـا

وتنازع الحكَّام والمتسلِّطون في الشَّام، والعراق، والجزيرة بينهما، ومصر، وكثرت حروبهم، واشتدَّ بأْسُهم بينهم، لا همَّ لهم إلاَّ جذبُ الدُّنيا إليهم، والاستمتاعُ بنعمها، فدبَّ إِليهم الفشل، وأَخذهم الخوفُ، وأَصبحت البلادُ نهباً لكلِّ طامعٍ، وضعفت ثغور الشَّام وما حولها عن الثَّبات أمام هجمات جيوش الرُّوم، روم بيزنطة الذين كانوا يغيرون، يقتلون وينهبون ويعيثون في الأرض فساداً، واتَّصلت غاراتهم لا يلقون إلاَّ أَهون الدِّفاع وأَضعفه، تقوم به الجماهير المسلوبة إرادتها، كانوا قد ملكوا أنطاكية وأذلُّوا الشَّام سنة ٣٥٨ هـ ثمَّ ملكوا من بعد مدينة الرّها[١]، وقلعة أَفامية[٢] سنة ٤٢٢ هـ وغيرهما، وجرؤوا على الثُّغور الشاميّة، وظلُّوا علىٰ استعلائهم واستطالتهم حتى طامنَ[٣] من غلوائهم[٤] واقعة منازكرد[٥] سنة ٤٦٣ هـ واستنقاذُ أنطاكية التي ظلّت في أيديهم مائة وتسع عشرة سنة (٣٥٨ - ٤٧٧ هـ).

= على مرسية، وشاطبة، ودانية، وبلنسية، وإشبيلية، وبطليوس، فتمَّ له ملك الجزيرة كلّها، وشمل سلطانه المغربين الأقصىٰ والأوسط وجزيرة الأندلس. وتوفي بمراكش سنة ٥٠٠ هـ الموافق ١١٠٦م. وكان حازماً، ضابطاً لمصالح مملكته، ماضي العزيمة، معتدل القامة، أسمر اللَّون، نحيف الجسم، خفيف العارضين، دقيق الصَّوت.

(١) الرّها: مدينة بين النهرين في تركيا، يقال لها (أورفا)، فتحها المسلمون سنة ٦٣٩م.

(٢) أفامية: مدينةٌ حصينةٌ من سواحل الشام، وكورة من كور حمص.

(٣) طامن: سكن أو انخفض. (٤) غلوائهم: حدّتهم ونشاطهم.

(٥) منازكرد: ويُقال لها: منازجرد، بلد مشهورٌ بين خلاط وبلاد الروم يُعدُّ في أرمينية، وأهله روم وأرمن. معجم البلدان: (٥/ ٢٠٢).

أتاح الشِّقاق بين الحكَّام، والاضطراب والضَّعف والتَّخاذل التي وقعت البلاد العربيّة فريستها، الفرصةَ الذَّهبيَّة السَّانحة لأوروبة الطَّامحة المتحفِّزة إلىٰ التَّسلُّط والكسب، وبدأ البلاء والشَّرُّ يوم أقبلت جحافل الفرنج تُحَرِّكها شتَّىٰ الشَّهوات الآثمة، والتي تلتقي جميعاً في الاستيلاء على الأرض العربيّة، واستلاب ثرواتها، بل والاستيطان فيها.

خرجوا إلىٰ بلاد الشام سنة ٤٩٠ هـ، ونزلوا مدينة أنطاكية في ٢٨/١٠/٤٩٠ هـ، واستولوا عليها بعد حصارٍ دام تسعة أشهر في رجب سنة ٤٩١ هـ لينساحوا في بلاد الشام كسيلٍ جارفٍ، يحتلُّون البلاد، فيقتلون، ويأسرون، وينهبون، ويُخرِّبون. وبلغوا بيت المقدس، قدس أقداسنا، فحصروه أشدَّ حصارٍ، ثمَّ استولوا عليه في شعبان سنة ٤٩٢ هـ ليركبوا النَّاس بالسَّيف، قتلوا فيهم أسبوعاً، وقتلوا في المسجد الأقصىٰ ما يزيد علىٰ سبعين ألفاً، ويسَّر لهم النَّصر السَّهلَ تنازع الأمراء والحكَّام، وانقسامهم، وأظلَّت بلاد الشَّام تلك الظّلمة الغاشية التي تدجّت[١] مائتي عام (٤٩٠ - ٦٩٠ هـ)، وامتدَّ لسانٌ منها إلىٰ مصر وتونس.

وولد الإمام الحافظ ثقة الدِّين أبو القاسم عليٌّ بمدينة دمشق في المحرّم سنة ٤٩٩ هـ والظّلمة مطبقةٌ علىٰ الأرض العربيَّة، أَرض الشام، وعُني أَبوه الحسن بن هبة الله سنة (٤٧٠ - ٥١٩)، وكان على حظٍّ من العلم طيّب بتنشئته، وقام علىٰ تعليمه، وحظي الحافظ بعون أخيه الأكبر صائن الدّين هبة الله (٤٨٨ - ٥٦٣ هـ) الذي كان قد بلغ في العلم مرتبةً عاليةً، وانتفع بصحبة جدِّه لأُمّه أَبي المفضل يحيى بن علي القرشي المتوفى سنة (٥٣٤ هـ) في النّحو والعربيَّة، وتفقّه في حداثته علىٰ الإمام أبي الحسن السّلمي الدمشقي (٤٥٠ - ٥٣٣ هـ)، وقرأ على شيوخ دمشق وعلمائها.

ولمَّا أَن استوفى الحافظ أبو القاسم القراءة علىٰ علماء بلده، عزم علىٰ الرِّحلة إِلىٰ العراق ليتلقّىٰ على علمائه، يستكمل ما فاته، ويتوثَّق ممَّا عرفه، ويُصحِّح ما شكَّ فيه، ويستوضح ما أشكل أَو غمَّ عليه، كان ذلٰك في ٥٢٠ هـ، وقد مضىٰ علىٰ وفاة أَبيه عامٌ واحدٌ، وكان أبو القاسم عليّ حينذاك قد بلغ الحادية والعشرين من عمره.

---

(١) تدجَّج في سلاحه: دخل في سلاحه، أو لبس سلاحه.

وكان يُقلق الشَّابَّ الناشئ ما يُقلق أهل بلده جميعاً من تدفُّق هؤلاء الغرباء، قدموا من الأَرض الكبيرة، باغين معتدين، يسومون ديار الشَّام سوء العذاب، يقتلون قتل استئصالٍ، ويأسرونَ، ويحرقون، ويطردون أَهل البلاد من مساكنهم وأَوطانهم، ليحلُّوا محلَّهم، ويستأثرون بأموالهم، وثرواتهم، وذخائرهم، لا عهد لهم، ولا حدَّ لمطامعهم وشهواتهم.

كان الفرنج المغتصبون قد احتلُّوا من مدن الشَّام وبقاعه: إنطاكية الحصينة، والقدس المقدَّسة، ومعرَّة النّعمان[١]، والبارة[٢]، وأَفامية، وجبلة[٣]، ونابلس، والجليل (طبرية)[٤]، وحيفا، وأرسوف[٥]، وقيسارية[٦]، ويافا، وعكا، وطرابلس، وبيروت، وصيدا، وصور، واللاّذقية، وانطرطوس[٧]، وجبيل، وسواها من المدن والحصون، وعظم الخوف، وبلغت القلوب الحناجر، وظنُّوا الظُّنون باستيلاء الفرنج على سائر الشام.

ووقفت دمشق شامخةً تدفع وتدافع عن العرين، تصدُّ غارات الفرنج المتتابعة، لا تألوا جهداً، وتُنجد من استنجد بها، قد أيقن أَهلوها أنّها منطلق التَّحرير، فأَصلتوا[٨] سيوفهم يخوضون الموقعة تلو الموقعة يترأسهم ظهير الدِّين طغتكين الذي قاد معركة الدِّفاع خمساً وعشرين سنة (٤٩٧ - ٥٢٢ هـ).

---

(١) معرة النعمان: مدينة في سورية، سميت كذلك نسبة إلى النعمان بن بشير وإلى معاوية بن أبي سفيان، فتحها المسلمون سنة ٦٣٧م. وغزاها الصليبيون سنة ١٠٩٨م، واسترجعها زنكي سنة ١١٣٧ .

(٢) بارة: بليدة وكورة من نواحي حلب، فيها حصنٌ، وهي ذات بساتين.

(٣) جبلة: مرفأ في سورية جنوبي اللاذقية، ومركز قضاء جبلة (محافظة اللاذقية) فتحها المسلمون سنة ٦٣٦م، وغزاها الصليبيون سنة ١٠٩٨م واسترجعها السلطان قلاوون سنة ١٢٨٥م.

(٤) طبرية: مدينةٌ على بحيرة طبرية سميت كذلك نسبة للقيصر طيباريوس، جعلها الصليبيون عاصمة الجليل سنة ١٠٩٩م.

(٥) أرسوف: مدينة على ساحل بحر الشام بين قيسارية ويافا.

(٦) قيسارية: أو قيصرية: مدينةٌ في تركيا الأسيوية، تنازعها المسلمون والبيزنطيون إلى أن احتلها السلجوقيون سنة ١٠٨٢م، ودخلها العثمانيون سنة ١٥١٥م.

(٧) انطرطوس: بلدٌ من سواحل بحر الشام، وهي آخر أعمال دمشق من البلاد الساحلية وأول أعمال حمص، مطلّة على البحر في شرقي عرقة لها برجان حصينان كالقلعتين.

(٨) أصلتوا: أصلت السيف: جرَّده من غمده، فهو مصلتٌ.

ارتحل أبو القاسم إلىٰ العراق، يتملَّكه حبُّ العِلم، ويستبدُّ به التَّطلُّع إلىٰ معارف جديدة يضمُّها إلىٰ ما دعاه قلبه، ومن الحقِّ أنَّ الشَّابَّ الذي أَقضَّ مضجعه قدوم الغرباء الغاصبين، قد مكَّن لهم في أَرضه وبلده تفرُّق كلمة الحكّام العرب، واختلاف أَهوائهم، كان دائم الفكر في التَّعرُّف علىٰ أَسباب التَّخاصم والنّزاع، يودُّ أن يتبيَّن ما يجري في السَّاحة العربيّة، وأن تتكشَّف له العواطف المنتشرة التي تضطرب بها النُّفوس في تلك الأَوقات العصيبة، فِعل المصلح الحكيم، كان يُؤرقه ما نزل بقومه من البلاء، ويُخيفه الخطر الماحق، ولكنَّه كان يملك من الإيمان بقومه وبلده ما يملأ قلبه حماسة للتَّغيير ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (١).

تنقّل أَبو القاسم في مدن العراق، ودرس في المدرسة النِّظامية ببغداد، وزار مكّة حاجّاً سنة ٥٢١ هـ، وأخذ عن علماء مكّة والمدينة، وطوف في البلاد، وكان أَكثر مقامه ببغداد. وقرأ على الشُّيوخ الكبار بها، وأَفاد منهم، وعاد بعد خمس سنين من رحلته إلىٰ دمشق، وقد تروَّىٰ علماً، وأَحاط خيراً بأَحوال البلاد العربية، وقد أَطال تأَمّلها، وعرف منها ما لم يكن يعرف.

قدم أَبو القاسم دمشق، ووقف في رحباتها يتأَمّلها تأَمُّل عاشقٍ يلقى الأَحبّة بعد طول بعاد، ويتلمَّس تحديد دورها الكبير الذي عليها أَن تنهض به في معركة الجهاد الطويلة التي تنتظر الشّام وأَهل الشام.

وماذا تمَّ في غيبة أَبي القاسم عليٍّ خمس سنين عن دمشق؟ عرف أبو القاسم ما أَعدَّ الفرنج من قوى هاجموا بها دمشق، فردَّتهم علىٰ أعقابهم، وتعرَّف إلىٰ ما بيَّته الفرنج من المكيدة والمكر، وما حاكوه بليلٍ ليحتلُّوا دمشق بالخيانة حين عجزوا عنها صداماً ومواجهةً، لقد مات ظهير الدِّين طغتكين سنة ٥٢٢ هـ، فخلفه ابنه تاج الملوك بوري الذي صدق في الدِّفاع عن دمشق، ووقف بجموع صاحب القدس، وصاحب أنطاكية، وصاحب طرابلس، وغيرهم من الفرنج، وقد تلاقوا كلُّهم ليتنازلوا المدينة الصَّابرة المرابطة التي استماتت في القتال، واستبسلت في الدِّفاع، تزود عن الحمىٰ، حتى باء

---

(١) سورة الرَّعد، الآية: (١١).

أعداؤها بالهزيمة والخسران في ذي الحجّة من عام ٥٢٣ هـ.

وافـوا دمـشـقَ فَـظَـنُّـوا أَنَّـهـا جُـدَّةٌ
وَفَـارَقُـوهـا وفـي أَيـديـهـم الـعَـدمُ

ويفكّر الفتى اليافع: أما لهٰذا اللّيل من آخر؟ كيف الخلاص؟ وأين الفرج؟ ويقلب الفتىٰ الشّاب صورة الواقع المرير الماثل أمام عينيه ويقول ما قاله المؤرّخون من بعد:

«وكانت الفرنج قد اتّسعت بلادهم، وكثرت أجنادهم، وعظمت هيبتهم، وزادت صولتهم، وامتدّت إلىٰ بلاد المسلمين أيديهم، وضعف أهلها عن كفّ عاديتهم، وتتابعت غزواتهم، وساموا المسلمين سوء العذاب، واستطار في البلاد شرر شرّهم، وامتدّت مملكتهم من ناحية ماردين[١] وشبختان إلىٰ عريش مصر. لم يتخلّله من ولاية المسلمين غير حلب، وحماة، وحمص، ودمشق، وكانت سراياهم من ديار بكر[٢] إلى آمد[٣]، ومن ديار الجزيرة إلىٰ نصيبين[٤] ورأس عين[٥]، أمّا أهل الرّقة[٦]، وحرّان[٧]، فقد كانوا معهم في ذلّ وهوانٍ، وانقطعت الطُرق إلىٰ دمشق، إلاّ على الرّحبة والبرّ، ثمّ زاد الأمر، وعظم الشّرُ، حتى جعلوا علىٰ أهل كلّ بلدٍ جاورهم خراجاً وأتاوةً يأخذونها منهم، ليكفُّوا أذيتهم عنهم»[٨].

وينصت الفتى الشّاب للأنباء التي بدأت تتهامس بها دمشق وعلىٰ وجهه الأسمر

---

(١) ماردين: مدينةٌ في تركيا، تبعد ٤١١ كلم من حلب، فيها محطة حديدية وتشتهر بقلعتها القديمة.

(٢) ديار بكر: مدينةٌ في تركيا على شاطىء دجلة الأيسر، فتحها عياض بن غنم سنة ٦٤٠م والعثمانيون سنة ١٥١٥م، تشتهر بتجارة الحرير والقطن والجلود.

(٣) آمد: المرجع السابق.

(٤) نصيبين: مدينةٌ في ما بين النهرين (تركيا حالياً)، كانت قديماً مهد الآداب السريانية حتى سقوطها في أيدي، الساسانيين سنة ٣٦٥م.

(٥) رأس عين: مدينة سورية في محافظة الحسكة، وهي اليوم في أقضية إدلب وحمص وحماة والقلمون.

(٦) الرّقة: أو رقة الرّشيد: مدينةٌ في سورية، وهي قاعدة المحافظة، شيدها الإسكندر المقدوني ودعاها اليونان (نيقيفوريون) والرومان (كالينيكوس) بنى فيها المنصور مدينة جديدة سنة ٧٧٢م. وجعلها هارون الرشيد بعد نكبة البرامكة عاصمته الصّيفيّة سنة ٨٠٣م، وبنى فيها قصر السّلام، فعُرفت بمدينة الرشيد.

(٧) حرّان: مدينةٌ قديمةٌ في بلاد ما بين النهرين (تركيا)، كانت مركزاً هاماً على طريق التجارة من نينوى إلى كركميش، دعاها الرومان (كارهاي)، فتحها المسلمون على يد العياض بن غنم سنة ٦٣٩م.

(٨) انظر: كتاب الروضتين: (١ : ٣٠)، وكتاب الباهر: (٣٢ – ٣٣).

أمارات الجدِّ والاهتمام والتَّرقُّب، ها هو ذا شعاع من نور يُخَفِّف من ثقل الظّلمة الحالكة. إنّه عماد الدِّين زنكي[١] الذي تتابعت انتصاراته ملك الموصل، والجزيرة، ثمَّ ملك حلب الدُّرَّة الغالية سنة ٥٢٢ هـ، فالتقاه أهلها وأظهروا من الفرح والسُّرور ما لا شيء فوقه، واستخلص من الفرنج حصن الأتارب المنيع سنة ٥٢٤ هـ.

هل هي الصَّحوة التي يتشوّق إليها العرب الرُّوّاد من المناضلين، تستنهض همم الرّجال، وتحفزهم على التَّعلُّق بمعالي الأمور، والارتفاع من السَّفساف[٢] والدّنيّ؟ ليتها كذلك.

ويبتسم الشَّاب للأمل الغضّ الأخضر الذي لاح في الأفق، ولكنَّ الشّفاه لا تلبث أن تصمت، فلا همس ولا حديث، ها هي ذي اليد الجانية الآثمة قد اغتالت تاج الملوك بوري بن طغتكين صاحب دمشق، ولقي الأمير المقدام الشُّجاع وجه ربّه في رجب سنة ٥٢٩ هـ، وتولّىٰ مكانه أَخوه شهاب الدين محمود بن بوري وشغل عماد الدِّين زنكي بمنازعات المشرق التي صرفته عن متابعة المعركة ومواصلة جهاد الفرنج.

هل يظلُّ الإخوة في خصامٍ ومنازعةٍ؟ وهل تتجدَّد المأساة لتزرع اليأس في النُّفوس؟ أَم هي سحابة صيفٍ وسيعود البَطل لنزال الأعداء ومقارعتهم؟

ورأىٰ أبو القاسم أن يستأنف الرّحلة من جديدٍ إلى أقصىٰ المشرق، يتلَقَّىٰ عن علمائه

---

(١) عماد الدِّين زنكي: ابن قسيم الدولة الحاجب آق سنقر، أبو غازي، ومودود، ومحمود، كان من كبار الشجعان. عرَّفه ابن الأثير في الباهر (٣/ ٧٤ - ٨٤) بالملك الشهيد، ونوّه بأنَّ والده آق سنقر هو أوّل ملوك الدولة الأتابكيّة في الموصل.

ولد عماد الدين زنكي سنة ٤٧٨ هـ الموافق ١٠٨٥م، وكان أبوه تركياً من أصحاب ملكشاه بن ألب أرسلان، ومات أبوه وابنه زنكي صغير، فتواصى به أصحاب أبيه إلى أن شبّ وتولى مدينة واسط، وقاد ميمنة الجيش في حرب الخليفة المسترشد بالله مع دبيس بن صدقة في محرم ٥١٧ هـ فظفر، وأُقطع البصرة فحماها، وتتابعت الأحداث فتولى الموصل وسائر بلاد الجزيرة سنة ٥٢١ هـ، وسلّم إليه السلطان محمود ولده (فرخشاه) ليربيه، ولهذا قيل له (أتابك)، ولما استفحل أمر الفرنج في الشام والعراق تصدّ لهم وأجلاهم عن حلب وحماه سنة ٥٢٤ هـ وأخذ منهم حصن الأتارب بعد معارك، وتوغّل في ديار بكر سنة ٥٢٨ هـ ثم عاد إلى شيزر، وسيَّر جيشاً إلى دمشق أدخلها في طاعته وأظهر دهاء مع الفرنج واستعاد منهم الرها، وبينما كان يُحاصر قلعة جعبر ويقاتل من فيها، دخل عليه بعض مماليكه وهو نائم فقتلوه غيلة سنة ٥٤١ هـ الموافق ١١٤٦م ودفن بصفين.

(٢) السّفاسف: المفرد: السَّفساف؛ أي: الرديء من كلِّ شيء.

ومحدّثيه، وارتحل إلىٰ خراسان عن طريق آذربيجان في نحو سنة ٥٢٩ هـ، وكان في الثلاثين من عمره، قد بلغ واستوىٰ، فزار أُمّهات البلاد: همدان، وتبريز، وهراة، ومرو، وأصبهان، سنة ٥٣٢ هـ، ونيسابور سنة ٥٢٩ .

يقول أبو القاسم:

«وإلىٰ الإمام محمد الفراوي النّيسابوري كانت رحلتي الثانية، لأنّه كان المقصود بالرّحلة في تلك النّاحية لما اجتمع فيه من علوّ الإسناد، ووفور العلم، وصحّة الاعتقاد، وحُسن الخلق، ولين الجانب، والإقبال بِكليّته على الطّالب، فأقمتُ في صحبته سنةً كاملةً، وغنمتُ من مسموعاته فوائد حسنةً طائلةً، وكان مكرماً لورودي عليه، عارفاً بحقّ قصدي إليه، وفارقته متوجّهاً إلىٰ هراة»[1].

وعاد الإمام أبو القاسم في ختام رحلته إلى بغداد، أُمّ الدُّنيا، وسيِّدة البلاد، كما وصفها ياقوت، ولقيه رفيقه الإمام السّمعاني[2] في نيسابور مرَّة سنة ٥٩٩ هـ، وفي بغداد مرَّةً سنة ٥٣٣ هـ، وبلغ الحافظ ما أمل من الطّواف ولقاء العلماء، واجتمع له من العلوم، ونفيس المعارف ما لم يجتمع لسواه.

وَأَنَا الذي سافرتُ في طَلَبِ الهُدىٰ
سَفَرينِ بين فدافدٍ وتَنَائفِ
وأنا الّذي طوَّفتُ غير مدينةٍ
من أَصبهان إلىٰ حُدودِ الطائف
والشَّرق قد عاينت أكثر مدنهِ
بعد العراق وَشَامنا المُتَعارفِ
وجمعتُ في الأَسفارِ كلَّ نفيسةٍ
ولقيتُ كلَّ مخالفٍ ومؤالفِ[3]

ثُمَّ أوىٰ أبو القاسم إلىٰ دمشق، إلىٰ ربوةٍ ذات قرارٍ ومعين في نحو سنة ٥٣٣ هـ.

---

(١) تبيين كذب المفتري: (٣٢٤ - ٣٢٥).

(٢) السمعاني: انظر ترجمته في القصيدة رقم (١)، باب: «ديوان ابن عساكر».

(٣) تبيين كذب المفتري: (٤٣١).

ورجع بسماعاتٍ غزيرةٍ وكتب عظيمةٍ، لم تدخل الشَّام قبله، وقد شهد له معارفه وشيوخه بالاستيعاب، وسعة الحفظ، وحُسن الإدراك، وقوَّة الذَّكاء، والتَّوقُّد، فكأنَّه شعلة نار، وذكر مترجموه أنَّ عدد شيوخه ألف وثلاثمائة شيخ ونيفٍ وثمانون امرأة، ولعلَّ كتابه الذي ألَّفه بعد: (كتاب أربعين حديثاً عن أربعين شيخاً من أَربعين مدينةٍ) إنَّما كان رمزاً بسيطاً يشف عن هٰذه المعرفة الواسعة، ويُحَدِّث بنعمة ما أُتيح لعالمنا الكبير من الرِّحلة البعيدة في البلاد، والتَّلقي عن أكابر العلماء.

وكان أبرز ما تمَّ في غيبة أبي القاسم الثانية عودة عماد الدِّين زنكي إلىٰ ميدان المعركة، وقد تحدَّث الرُّكبان بواقعته الكبرىٰ مع الفرنج حول أَسوار بارين[1] عام ٥٣١ هـ وأدرك عماد الدِّين بثاقب نظره أَن لا طريق لتحرير البلاد من هذا العدوِّ العاتي إلاَّ الوحدة تجمع القلوب، وتُقوّي المبْدَّدة، وتضمُّ الشَّتات والجهود المضيعة، وأنَّ دمشق بموقعها، ومكانتها، وتاريخها هي منطلق التحرير، وعلىٰ هدي هٰذه الخطَّة مضىٰ عماد الدِّين منذ تسلُّم حلب، وأعدَّ للأمر عُدَّته، فملك حماة سنة ٥٢٣ هـ، وملك حمص سنة ٥٣٢ هـ، وبعلبك سنة ٥٣٣ هـ وغيرها من المدن والقلاع، بعد مصاعب جمَّة وشدائد، لم ينجح في ضمِّ دمشق علىٰ ما بذل وضحّىٰ وقدّم، حالت الأَثَرَةُ والنَّزوات والمنافع دون تحقيق ذلك، ولم تتوافر لعماد الدِّين الصِّفات والخصال من المطاولة والتَّسامح والإغضاء علىٰ القذى[2] والوفاء بالعهود التي تُؤَهّله للتغلُّب علىٰ كلِّ هذه المعوقات.

وعانت دمشق من ضعف حكّامها: قُتِلَ شهاب الدّين محمود بن بوري غيلةً على فراشه سنة ٥٣٣ هـ، فقام مقامه أخوه جمال الدّين محمد بن بوري الذي مات في السَّنة التالية ٥٣٤ هـ ليحلَّ محلَّه ابنه مجير الدِّين آبق بن محمد، وكان صغيراً، وقبل متولِّي دمشق معين الدِّين أن يستنجد بالفرنج ويستعينهم علىٰ عماد الدِّين، وسلّمهم لقاء ذلك بانياس سنة ٥٣٤ هـ.

قرّ أبو القاسم عيناً بأوبته إلىٰ بلده دمشق بعد هذه الرِّحلة الطَّويلة، واستأنف نشاطه العلمي، وأخذ يلقي دروسه في جامع بني أُميَّة، وهو يشهد الأحداث التي تتعاقب علىٰ

---

(١) بارين: والعامّة تُسمّيها (بعرين)، وهي مدينة حسنة بين حلب وحماه من جهة الغرب.

(٢) القذى: ما يتكوَّن في العين من رَمَصٍ وغَمَصٍ وغيرهما.

وطنه. يتأمّلها التأمُّل العميق، ويتبيّن ظواهرها وأسبابها المستمرّة، ويتقصّىٰ أحوال قومه تقصّي نقّاب[١]، صادق الحدس[٢]، ثمَّ يعتكف في المنارة الشَّرقيّة في الجامع، يُفكّر في العواقب.

ورأىٰ أبو القاسم بنافذ بصيرته أنَّ خير ما يقوم به لإعلاء الرُّوح المعنوية، وإذكاء نار الحماسة في صدور بني قومه ليكونوا أصلب في المقاومة، وأثبت عند النِّزال، أن يُقَدِّم لهم صورة ماضيهم المشرق، بكلِّ ألقها[٣] وإثارتها، أن يُعَرِّفهم بتاريخ الأجداد. بكلِّ ما فيه من مآثر ومفاخر، أنْ يُذكِّرَهم بمثلهم، ومكارمهم، وأخلاقهم، ومناقبهم التي فُطر عليها أسلافهم الأكرمون، أن يحدِّثهم حديث الأَب لابنه، والأخ لأَخيه بفضائل الأرض التي يعيشون عليها وينعمون بها، أرض آبائهم وأَجدادهم المباركة المقدّسة، المهدَّدة باغتصاب الغرباء لها، أن يوقظ فيهم كلَّ القيم التي تجعلهم جديرين أن يكونوا الأحفاد الأُمناء القادرين علىٰ أن يصونوا مقدّساتهم من عبث العابثين، وطيش الطائشين.

واختار أَبو القاسم الإقامة بدمشق لا يغادرها، ووفَّىٰ بما عزم، وبقي في دمشق نحو أَربعين عاماً متّصلة، يعمل ليل نهار، دون توقّفٍ أو كَلَلٍ، قد أَعرض عن المناصب وزخرف الدُّنيا، وتوفّر على ما أَخذ به نفسه من التَّمسُّك بالمُثل والفضائل، يأمر بها، ويدعو إليها، ويقوم بالجمع والتَّصنيف، والمطالعة والتَّسميع.

أَشرع أَبو القاسم القلم، وبدأَ يُؤَلّف كتابه الكبير العظيم في تاريخ دمشق، ولم تكن الفكرة التي تملّكته ابنة يومه الجديد، كانت تراوده منذ سنوات وسنوات، ولعلّه كان قد بدأ العمل ثمَّ تمهَّل فعاد الآن والعود أحمد، كان يكتب، وكان يُدَرِّس، وكان يرقب الأحداث، ويتعرَّف إلىٰ مغزاها ومراميها، وكان يدعو إلىٰ الوحدة بين بني قومه، وكان يعمل جاهداً لها.

وتتبّعت دمشق أنباء معركة الرُّها التي قادها عماد الدِّين زنكي، واهتزَّت دمشق فرحاً يوم جاء الفتح في جمادى الآخرة سنة ٥٣٩ هـ.

(١) النَّقَّاب: الباحثة، والرَّجل الفطن، والعالم بالأشياء.
(٢) الحدس: الظَّنُّ والتَّخمين، والفراسة.
(٣) ألقها: الألق: اللّمعان.

علىٰ المنابر من أنبائه أرجٌ

مقطوبةٌ بفتيقِ المسكِ ريّاهُ

وكان الفرنج قد ملكوا من نواحي ماردين إلىٰ الفرات عدّة حصون، فكان امتلاك ـزُها الحصينة إيذاناً بتهاوي سائر الأماكن التي وقعت بيد الفرنج شرقيَّ الفرات، وقُتل عماد الدِّين زنكي وهو يُحاصر قلعة جعبر سنة ٥٤١ هـ، فتولّىٰ سيف الدِّين غازي بن زنكي[١] الموصل، وتولّى نور الدِّين محمود بن زنكي[٢] حلب.

وشهد الحافظ أبو القاسم التَّجربة القاسية المريرة يوم أقبلت جموع الفرنج تحاصر دمشق، تريد الاستيلاء عليها، كان ذلك سنة ٥٤٣ هـ، والحافظ أبو القاسم في الرّابعة والأربعين من عمره، وكان الفرنج واثقين من النَّصر، فقد قدم ملك الألمان من بلاده بكثف جيشٍ قدر عليه، وانضمّت إليه حشود الفرنج المقيمة ببلاد الشّام، وطوّقوا

---

(١) سيف الدِّين غازي بن زنكي: بن آق سنقر، أخو نور الدين الشهيد، أميرٌ، كان صاحب الموصل، ولد سنة ٤٩٠ هـ الموافق ١٠٩٧م. وأقام في الملك ثلاث سنين وشهوراً، وهو أول من حمل (السّنجق) على رأسه، من الأتابكة، ولم يكن فيهم من يفعله، وأول من أمر عسكره أن لا يركب أحدهم إلاّ والسّيف في وسطه. كان جواداً شجاعاً، من آثاره في الموصل المدرسة الأتابكية بناها ووقفها على الحنفية، والشافعية. توفي سنة ٥٤٤ هـ الموافق ١١٤٩م.

(٢) نور الدين محمود بن زنكي: أبو القاسم، الملقّب بالملك العادل، ملك الشام، وديار الجزيرة، ومصر، وهو أعدل ملوك زمانه وأجلُّهم وأفضلهم، كان من المماليك. ولد نور الدين في حلب سنة ٥١١ هـ الموافق ١١١٨م، وانتقلت إليه إمارتها بعد وفاة أبيه سنة ٥٤١ هـ، وكان ملحقاً بالسّلاجقة، فاستقلّ، وضمّ دمشق إلى ملكه مدّة عشرين سنة، وامتدّت سلطته في الممالك الإسلاميّة حتى شملت جميع سورية الشرقيّة، وقسماً من سورية الغربية، والموصل، وديار بكر، والجزيرة، ومصر، وبعض بلاد المغرب، وجانباً من اليمن، وخطب له بالحرمين، وكان معتنياً بمصالح رعيّته، مداوماً للجهاد، يباشر القتال بنفسه، موفقاً في حروبه مع الصّليبيين أيام زحفهم على بلاد الشام، وأسقط ما كان يؤخذ من المكوس، وأقطع عرب البادية إقطاعات لئلاّ يتعرضوا للحجّاج، وهو الذي حصّن قلاع الشام، وبنىٰ الأسوار على مدنها كدمشق، وحمص، وحماه، وشيزر، وبعلبك، وحلب، وبنى مدارس كثيرة منها: العادلية أتمها بعده العادل أخو صلاح الدين، ودار الحديث كلتاهما في دمشق، وهو أول من بنى داراً للحديث، وبنى الجامع النوري بالموصل، والخانات في الطريق، والخوانق للصوفيّة، وكان متواضعاً مهيباً وقوراً، مكرماً للعلماء ينهض للقائهم، ويؤنسهم، ولا يردُّ لهم قولاً، عارفاً بالفقه على مذهب أبي حنيفة، ولا تعصُّب عنده، وسمع الحديث بحلب ودمشق من جماعة، وسمع من جماعة، وكان يجلس في كلّ أسبوع أربعة أيّام يحضر الفقهاء عنده، ويأمر بإزالة الحجّاب حتى يصل إليه من يشاء، ويسأل الفقهاء عمّا يشكل عليه، ووقف كتباً كثيرةً، وكان يتمنّىٰ أن يموت شهيداً، فمات بعلّة (الخوانيق) في قلعة دمشق سنة ٥٦٩ هـ الموافق ١١٧٤م. فقيل له (الشهيد)، وقبره في المدرسة النوريّة، وكان قد بناها للأحناف بدمشق.

دمشق، دُرَّة التّاريخ، وأُمُّ الشّام، لقد استعصت عليهم ما يزيد علىٰ خمسين عاماً، قائمة في وجوههم كجبلٍ راسخٍ، معترضة في طريق أطماعهم كالشَّوكة في حلوقهم، ولم يغفروا لها مثل هذا الموقف، فجاؤوها سراعاً كأمثال الدَّبى[١].

وصبر أهل دمشق للقتال والحصار أجمل صبر، وكُتب لدمشق النّجاة ولم تكد.

وبدأ أبو القاسم وبدأ قومه يتدبَّرون الأمر، ويُقلّبون وجوه الرأي، ويلحُّ عليهم السُّؤال: كيف الخلاص؟ وأين الطَّريق؟ ها هو القائد الفارس الأسمر يقبل من الشّمال، تبرق أسرَّة وجهه، كأنَّ عمامته بين الرِّجال لواء[٢]، إنَّه الملك العادل نور الدِّين محمود ابن عماد الدِّين زنكي، يحارب الفرنج ويهزمهم، ويسترجع البلاد منهم، هزم الفرنج في معركة يغرا سنة ٥٤٣ هـ، وقتل صاحب أنطاكية سنة ٥٤٤ هـ، وفتح حصن أفامية سنة ٥٤٥ هـ، وأسر جوسلين[٣]، وحرَّر البلاد شمالي حلب سنة ٥٤٦ - ٥٤٧ هـ، لتتردَّىٰ لباس الأمن والعزّة بعد خوفٍ وذلٍّ طويلين، واستثار[٤] القائد البطل النُّفوس حماسة، بفعاله، وشمائله، وشجاعته، فتلفّتت إليه العيون، والتفّت حوله القلوب، وتغنَّىٰ بفتوحاته الشُّعراء، وأشادوا بمعاركه وبطولاته، وتفاءلوا له بالنَّصر، وفتحِ القدس المقدَّسة، يُطهِّرها بجهاده من رجس الأعداء.

كــأنّــي بــهــذا الــعــزم لا فــلَّ حَــدُّه
وأقـصـاهُ بـالأقـصٰـى وقـد قُـضـي الأمـرُ

وقـد أصـبـحَ الـبـيـتُ الـمـقـدّس طـاهـراً
ولـيـس سـوىٰ جـاري الـدِّمـاء لـه طُـهُـر

ونادوه بأَرفع نداءٍ يستصرخونه ويستعدونه:

فانهض إلىٰ المسجدِ الأقصىٰ بذي لجبٍ
يوليك أقصٰى المنىٰ فالقدسُ مرتقبُ

---

(١) الدَّبَىٰ: الجراد قبل أن يطير، أو أصغر ما يكون من الجراد، الواحدة: دباةٌ.

(٢) قال ابن الأثير في الكامل: (١١/ ١٨١): كان نور الدين أسمر، طويل القامة، واسع الجبهة، حسن الصورة.

(٣) جوسلين: اسم ثلاثة زعماء من الإفرنج ذكروا في الحرب الصّليبية، أولهم: أمير طبرية صاحب الرها.

(٤) استثار: هيَّج.

ورأى منه النَّاسُ جميعاً بطل العروبة، وحامي حماها، القائد المظفّر، الميمون النّقيبة، المؤهّل للتَّحرير:

تـــدارك مـــلَّـــة الـــعـــربـــيّ ذبّـــاً
إلـــىٰ أن عـــدَّه مـــنـــه مـــعـــدُّ(١)

وأَصبح نور الدِّين معقد الأمل، ومناط الرَّجاء، لقد جعل هدفه تحرير القدس، وطرد الغرباء المغتصبين، وأخذ يوطىء لذلك، ويرسم خطاه خطوةً خطوةً، وما أَصدق مؤرّخي نور الدِّين حين وصفوه فقالوا:

. . . وكان فتح القدس في همّته من أوّل ملكه.

وتسامع النَّاس، وتداولوا ذات يوم: إنَّ نور الدّين دعا نجّاراً بحلب يُعرف بالأخترِيني من ضيعةٍ تعرف بأخترين، لم يلف له في براعته وصُنعته قرين، فأمره أن يصنع منبراً لبيت الله المقدّس.

ولبّىٰ الرَّجل ما نُدِبَ له، وبذل النَّجارون والصُّنَّاع والمهندسون في صناعته سنين، وأَبدعوا في تركيبه الإحكام والتَّزيين(٢).

وتحفَّز الفرنج لضربةٍ قاصمةٍ ينالون فيها من نور الدِّين، ويظهرون عجزه،

---

(١) كتاب الروضتين: (١٩:١). وهذا البيت الذي أتى به محمد بن نصر القيسراني شاعر الشام يقارب في مضمونه جملة من تعاريف العربي، أورد فيما يلي بعضاً منها:
١ - العربي: من أراد أن يكون عربياً.
٢ - العربي: من تكلّم بالعربية، وأراد أن يكون عربياً.
٣ - العربي: من تكلّم بالعربية.
٤ - العربي: كلُّ من ينتسب إلى شعب عربي.
٥ - العربي: من كانت لغته العربية، وعاش في الأرض العربية، أو تطلّع إلىٰ الحياة فيها، وتشبّعت روحه بالقومية العربية، والولاء الخالص للغة العرب وتاريخهم المجيد في الماضي.
٦ - العربي: من كانت لغته العربية، وعاش في الأرض العربية، أو تطلّع إلى الحياة فيها، وآمن بانتسابه للأمة العربية.
٧ - وينسب إلى النبي العربي الكريم ﷺ قوله: «يَا أَيُّها النّاسُ، إنَّ الرَّبَّ واحدٌ، وَإنَّ الدّين وَاحدٌ، وَلَيْسَتِ العربية بأَحَدِكُم من أَبٍ وأمٍّ، وإنَّما هِيَ اللّسان، فَمَنْ تَكَلَّمَ بالعَرَبِيَّةِ فهو عَرَبيٌّ»- أخرجه الهندي في كنز العمال: (٣٣٩٣٦) و (٣٧١٣١).
انظر: القومية العربية لمصطفى الشهابي: (٣٣ - ٣٤)، وأحاديث في القومية لساطع الحصري: (٦٤ - ٦٥).
(٢) كتاب الروضتين: (٢/ ١١٣).

ويزعزعون بها ثقة العرب بأنفسهم، ويطوحون فيها بآمالهم التي أملوها في نور الدِّين، واختاروا عسقلان[١] المنيعة، عروس السَّاحل مدينة فلسطين حُسناً وجمالاً، وحصانة، ورأوها فرصةً مواتيةً فاهتبلوها[٢]، فقد اضطربت الأهواء في مصر، فخالفوا عن سُنَّتهم التي درجوا عليها في مدِّ عسقلان كلَّ عام بالذَّخائر، والأسلحة، والأموال، والرِّجال، لحفظها وحراستها، كان الفرنج يقصدون عسقلان كلَّ سنةٍ، ويحصرونها، فلا يجدون سبيلاً إلىٰ الاستيلاء عليها، أمّا هذا العام عام ٥٤٨ هـ، فقد زحفوا إليها، ولا مدد لها ولا ظهير، وقاتل أَهل عسقلان أشدَّ قتالٍ، واستغاثوا بإخوانهم، فلم ينجدهم منجدٌ. وعجز نور الدِّين أن يبلغ ما أَراد من عونهم ونصرهم، ووقعت الفجيعة التي أذهلت العرب، وسقطت عسقلان، لتبقى أسيرة اغترابٍ في يد غاصبين معتدين خمساً وثلاثين سنة حتى عام ٥٨٣ هـ، سقطت عسقلان، وهي التي وقفت في وجه الفرنج أمداً طويلاً، وعدّت رمز المقاومة العربيّة إلىٰ جانب أخوات لها عربيّات ثبتن ثباتها، وها هي ذي قد تخلَّت عن موقعها، وخلت ساحة جنوب الشَّام من قلعتها العربية الحصينة، فهي ثكلىٰ واجمة.

وطمع الفرنج في دمشق، وأعدُّوا للاستيلاء عليها، وكانوا قد استطالوا علىٰ أَهلها، وفرضوا عليهم كلَّ سنةٍ قطيعةً يأخذونها منهم، فكان رسلهم يدخلون البلد يأخذونها منهم[٣].

واستضعفوا مجير الدِّين واليها، وتابعوا الغارة على أعماله، وخاف نور الدِّين أن يملك الفرنج دمشق، فلا يبقىٰ للعرب بالشّام مقامٌ، ولم يلجأ نور الدِّين إلى مهاجمتها قبل أن يعمل الحيلة، خشية أن يستنجد حاكمها بالفرنج، وبدأ يتأتىٰ لتسلمها، متهدِّياً بتجارب سابقة، وأنجح نور الدِّين فيما قصد له، ودخل مدينة دمشق في صفر سنة ٥٤٩ هـ، وتسلَّم القلعة من مجير الدِّين آبق بن محمد بن بوري بن طغتكين الذي حكم دمشق

(١) عسقلان: أشقلون قديماً، مدينة كنعانيّة على ساحل فلسطين جنوباً احتلها الفلسطينيون فأصبحت إحدى مدنهم الخمس الكبرى، كانت موقعاً عسكرياً في الحروب الصليبية، خرَّبها المماليك سنة ١٢٤٧م.

(٢) اهتبلوها: احتالوا واختدعوا. يقال: اختبل الفرصة: اغتنمها.

(٣) الكامل لابن الأثير: (١١/٨٩)، وكتاب الروضتين: (١/٩٤ - ٩٥).

خمسة عشر عاماً (٥٣٤ - ٥٤٩ هـ) فأشرقت الوجوه بعد عبوس، وانطلقت الآمال استبشاراً بالغد الباسم، واستقبلت دمشق بهيجة فرحة ابنها البار في يومٍ من أيّامها الخالدات، تهزج جماهيرها: (نور الدِّين يا منصور).

والتقىٰ الملك العظيم والمؤلِّف العظيم، كأنما كانا على قدَرٍ، واصطحبا عشرين عاماً حتى وافى الأجل نور الدين سنة ٥٦٩ هـ.

ورأىٰ نور الدين وقد حنّكته تجاربه، أنَّ وحدة البلاد تقف متماسكةً كبنيانٍ مرصوصٍ، وهي وحدها القوَّة القادرة علىٰ الوقوف في وجه أوروبة، وصدّ عدوان الفرنج، وكان يُدرك ما للفكر والتُّراث والتَّاريخ ما للوحدة الرُّوحية والثَّقافيّة من آثارٍ بعيدةٍ في ضمّ الصُّفوف، ورأب الصَّدع، وتلاقي القلوب، ورأى في الإمام الحافظ ابن عساكر مطلبه ومبتغاه، يستعينه في تحقيق هدفه، وبلوغ مراده، فشيّد للإمام مدرسة الحديث النُّورية[1] ليتفرَّغ للدَّرس والمطالعة، وحثَّ مؤرّخ دمشق الكبير أن ينجز كتابه الذي كان قد بدأه في تاريخ دمشق، ليكون للناشئة العربيَّة منار هدىٰ، وحافز مسيرة.

واستجاب الإمام أبو القاسم لرغبة صديقه الملك العادل:

«أمَّا بعد، فإنِّي كنتُ بدأت قديماً بالاعتزام علىٰ جمع تاريخ لمدينة دمشق أُمِّ الدُّنيا، حمىٰ الله ربوعها من الدّثور[2] والانقصام[3]، فعاقت عن إنجازه وإتمامه عوائق الأيّام، فصدقت عن العمل فيه برهة من الأعوام. . . . ورقي خبر جمعي له إلىٰ حضرة الملك القمقام[4]، العادل الكامل الزّاهد المجاهد المرابط الهمام، أبي القاسم محمود بن زنكي بن آق سنقر ناصر الإمام. . . وبلغني تشوّقه إلىٰ الاستنجاز له والاستتمام، ليلمَّ بمطالعة ما تيسَّر منه بعض الإلمام، فراجعتُ العمل فيه راجياً الظَّفر بالتّمام، شاكراً لما ظهر منه من حُسْنِ الاهتمام».

---

(١) مدرسة الحديث النُّوريّة: هي بسوق العصرونية من الجانب القبلي بين دار الحديث الأشرفيّة والمدرسة العصرونية، أمام العادلية الصغرى، يفصل بينهما الطريق. انظر: الدارس في تاريخ المدارس: (١/ ٩٩ - ١١٣).

(٢) الدُّثور: اندثر: دثر وامَّحىٰ وفني.

(٣) الانقصام: قصم الشيء قصماً: كسره كسراً فيه انفصال، وأهلكه، وقصم الله فلاناً: قرَّب موته وأهانه. وقصم الله عمره: أذهبه.

(٤) القمقام: البحر أو معظمه.

إنَّه اليوم في نحو الخمسين من عمره، قد خبر الدُّنيا وبلاها، وعرف تصاريفها، وصدقت فراسته أن يكون نور الدين بطل التّحرير، ورائد الوحدة. «. . . ودرَّت علىٰ رعاياه الأَرزاق، وحصل بينهم بيُمنِهِ الاتّفاق» فشدّ العزم، وشمَّر عن ساعدي الجدّ، وأدرك أن قد التقى العلم والعمل، النِّيَّة المخلصة، والإرادة العازمة، فبدأ طريقه، وأكبَّ علىٰ تاريخ مدينة دمشق بِجَلدِ شاب وقوَّته، وعلم شيخ ورأيه، ليخرجه إلىٰ النَّاس آيةً باهرةً، ومعجزة باقية، وأَخذ الإمام يُقرىء النَّاس تاريخه، أَوىٰ إلىٰ المنارة الشَّرقيّة من المسجد الجامع، ومضىٰ يدرِّس التاريخ ويفصل أخباره، وقد حصل إلينا أنَّ إحدىٰ قراءاته كانت في شهور سنة تسع وخمسين وخمسمائة (٥٥٩ هـ)، وهو يزيح رداء السِّتِّين عن كتفيه.

كانت صحائف كتابه الكبير (٨٠٠ جزء × ٤٠ صفحة = ٣٢٠٠٠ صفحة) تنطق بوحدة ثقافة الأُمَّة العربيّة، ووحدة مشاعرها، ووحدة مصيرها وقدرها، وكانت بكلماتها النَّابضة حماسة وصدقاً، توحّد الأُمّة، وتلمُّ شتاتها، وتستنهض هممها، وتعدُّها لنضال الحياة الصَّعب الذي ينتظرها أمام عدوان شرسٍ لا يرحم، وإذا روىٰ الحافظ بعض ما كان يُؤذن بالفرقة أَو يشعر بها، سارع يؤكّد إيمانه بوحدة شعبه، ووحدة أهدافه ومراميه، وتلك أمورٌ قد خلت، والله يعفو عنها، وفتنٌ قد مضت، والله يعصم منها. وهٰذا لما كان يجري بين أَهل الشّام والعراق من الحروب، فأمَّا الآن فقد أَلّف الله بين المسلمين، وأزال ما كان في القلوب.

لم يؤلِّف الحافظ تاريخ مدينة دمشق، بل كان كتابه تاريخ بلاد الشام، بكلِّ مآثرها ومكرماتها، ومناقبها وعلمائها، وأبطالها ومصلحيها، بل إنَّ الحافظ مدَّ من آفاق كتابه ليكون كتاب الأُمَّة العربيَّة، تجد فيه صورتها الصَّادقة في أَيّامها الماضيات، وأُسرعُ فأَقول: لست أَعني من كلمتي هٰذه أنَّ أبا القاسم كان يتخيَّر الأخبار، وينتقي الرِّوايات، بل كان الحافظ الأمين، ينقل كلَّ الرِّوايات والأخبار التي تتوارد حول الموضوع فعل المحدِّث الصَّادق، ويصوِّر الحياة العربيَّة، بكلِّ جوانبها: قويّها وضعيفها. . . وهو كتابٌ مشتملٌ علىٰ ذكرِ من حلَّها. . . وذكر ما لهم من ثناءٍ ومدحٍ، وإثبات ما فيهم من هجاءٍ وقدحٍ، وإيراد ما ذكروه من تعديلٍ وجُرحٍ، وحكاية ما نُقِلَ عنهم من جدٍّ ومزحٍ. . . وكلُّ ما أَعنيه أنَّ هٰذا التّاريخ الحافل قد قصَّ علينا تاريخ العرب الماضين، فأَفاض

وأوعب، ولكنّ قارئه وهو يقرأ سير أُولئك الرّجال العظام الذين خطُّوا بأسنّةِ رماحهم قصّة الفتح، ثمَّ شادوا بأقلامهم وعقولهم وسواعدهم صرح الحضارة العربيّة السَّامق[١] سيرىٰ فيهم القدوة الحسنة يتشبَّه بهم، ويمضي في طريقه علىٰ أثرهم، وقد اتَّخذ شعارهم الأوَّل شعاره: «إنَّما يُقَدِّس المرء عمله».

وتألَّقت مآثر نور الدِّين الملك العادل ومساعيه العظام، ملك قلعة تل باشر[٢] شمالي حلب سنة ٥٤٩ هـ استخلصها من الفرنج، ومضىٰ إلىٰ جانب ذلك، يوحِّد البلاد تحت حكمه، فضمَّ إليه حصن شيزر[٣]، ومدينة بعلبك سنة ٥٥٢ هـ، ووثّق نور الدّين صلته بالجماهير العربيّة، كان يستجيب في عمله لمطالبها ومطامحها، وكان يُمثّل آمالها وأشواقها، ويستوحي أمانيها في الوحدة والتّحرير والعدل، وكان ذلك قوّته، وتصاعد مجده، يسير النّصر حيث يسير[٤].

ومضى الإمام الحافظ يواكبه في مسيرته، إنّها الحياة الجديدة، حياة الكفاح والبناء، وتوحيد القلوب والبلاد فلنعدّ النُّفوس لهذه الحياة الجديدة، وأخذ أبو القاسم يستحثُّ بقلبه ولسانه الهمم أن تنهض لتضطلع بتبعات التَّحرير والجهاد:

«لاَ تَزَالُ عصَابَة مِنْ أُمَّتي يُقَاتِلُونَ عَلَىٰ أَبْوَابِ دِمَشْق وَمَا حَوْلَهَا، وعَلَىٰ أَبْوَابِ بَيْتِ المَقْدِسِ وَمَا حَوْلَهُ، لاَ يَضُرُّهُمْ خِذْلاَنُ مَنْ خَذَلَهُمْ، ظَاهِرِينَ عَلَىٰ الحَقِّ إِلَىٰ أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ»[٥].

وكان يدعو قومه إلىٰ الوحدة والتَّكاتف أرقَّ دعاء وألطفه وأحلاه. وألَّف الحافظ تآليف عدَّة تُؤدِّي القصد وتبلغ الغاية، وكان نور الدِّين بقربه لا يبعد عنه، يُحَدِّد وإيّاه الهدف والمرمى، ألّف الحافظ جزءاً فيه أربعون حديثاً في الحثِّ علىٰ الجهاد، يستثير

---

(١) السامق: الطويل العالي، وسمق سموقاً: طال، فهو سامقٌ، وهي سامقة.

(٢) تل باشر: قلعةٌ بين عينتاب وحلب في شمالي سورية على نهر ساجور، احتلها الصَّليبيُّون سنة ١٠٩٥م، فاشتهرت في عهدهم وانتزعها منهم نور الدين سنة ١١٥٦م.

(٣) حصن شيزر: أنقاض مدينة سورية على العاصي شمالي حماه، فتحها أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه سنة ٦٣٨م، وتحصّنت دون الصّليبيين.

(٤) انظر كتاب الروضتين: (١/ ٥ - ٢٤ و ١١٣)، والكامل لابن الأثير: (١١/ ١٣٥)، والباهر لابن الأثير: (١٢٣).

(٥) أخرجه ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق: (١/ ٥٦).

حماسة أبناء الشّام ونخوتهم، ليتابعوا المعركة دون توقُّف.

«أما بعد. . . فإنَّ الملك العادل الزَّاهد المجاهد المرابط، وفَّقه الله تعالىٰ للسَّداد، وأَعانه علىٰ القيام بمصالح العباد. . . أحبَّ أن أَجمع له أربعين حديثاً في الجهاد، تكون واضحة المتن، متَّصلة الإسناد، تحريضاً للمجاهدين الأجلاد، وأُولي الهمم العالية، والسَّواعد الشِّداد، وذوي المرهفات الماضية، والأَسنَّة الحداد، ليكون لهم تحضيضاً علىٰ الصِّدق عند اللِّقاء والجلاد. . . فسارعتُ إلىٰ امتثال ما التبس من المراد»[1].

هل تريد أَن تستمع إِلىٰ بعض ما أَورد في كتابه؟ حبّاً وكرامةً:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله، أَيُّ النّاس أَفضل؟ قال رسول الله ﷺ: **«مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ في سَبيلِ اللَّهِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ»**. قالوا: ثمَّ مَن؟ قال: **«مُؤْمِنٌ في شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ، يَتَّقي اللَّهَ، ويَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ»**[2].

عن أبي أُمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ باليَهُودِيَّةِ وَلاَ بِالنَّصْرَانية وَلكِنِّي بُعِثْتُ بالحَنِيفيَّةِ السَّمْحَة، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَغَدْوَةٌ أَوْ رَوْحَةٌ في سَبِيلِ الله خَيرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيها، وَلَمَقَامُ أَحَدِكُمْ في الصَّفِّ خَيرٌ مِنْ صَلاَتِهِ سَتِّينَ سَنَةٍ»[3].

عن أَبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إِنَّ أَبْوَابَ الجَنَّةِ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ»[4].

---

(١) في المكتبة الظاهرية مجموع مخطوط نفيس تحت رقم: (١٥٩٢)، يشتمل على أربعة كتب الثالث منها كتاب الحافظ أبي القاسم، جزء فيه أربعون حديثاً في الحث على الجهاد، يقع في (١٦) ورقة (٦٧ - ٨١)، والاقتباس المذكور آنفاً واردٌ في ظهر الورقة (٦٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: (٢٤٤٦)، ومسلم في صحيحه: (١٨٨٨).

(٣) أخرجه أحمد في المسند: (٢٦٦/٥)، وهو في مسند أحمد - طبعة الدار-: (٢٢٣٥٤)، والطبراني في المعجم الكبير: (٢٥٧/٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد: (٢٧٩/٥) وهو في مجمع الزوائد - طبعة الدار-: (٩٤٤١)، والسيوطي في الدرر المنثور: (٢٤٩/١)، والهندي في كنز العمال: (١٠٦٨٩)، والخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه: (٢٠٤/٢).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: (١٩٠٢)، وأحمد في المسند: (٣٩٦/٤ و ٤١١)، وهو في مسند أحمد - طبعة الدار-: (٩٥٥٥)، والترمذي في سننه: (١٦٦٥)، وابن حبان في صحيحه: (٤٦١٧/١٠)، والحاكم في المستدرك: (٧٠/٢)، والبيهقي في السنن الكبرى: (٤٤/٩)، والمنذري في=

للّه درّه الحافظ أَبو القاسم، لقد كان يُقاتل بسهام لا تخطىء. وتملَّك حبُّ الأَرض، حبُّ الدِّيار، حبُّ الوطن قلبه ونفسه، وغلب علَىٰ لسانه ودرسه، فلم يكفه تاريخ دمشق، وحبّ دمشق، وفضائل دمشق، وذهب يتحدَّث حديث المحبِّ المؤمن عن فضائل كلِّ قريةٍ من قرىٰ دمشق ومزاياها، وتُطالعنا سلسلة طويلة من كتبه وتآليفه في ذكر المزَّة(١)، وكفرسوسية(٢)، والرَّبوة(٣)، والنَّيرب(٤)، وجسرين(٥)، والبلاط(٦)، ودومة(٧)، وحرستا(٨)، ومسرابا(٩)، وزملكا(١٠)، وجوبر(١١)، وبرزة(١٢)، والقُصير(١٣)، وكفر بطنا(١٤)، ومنين(١٥)، وإِنَّها لتتلألأ بكلماته أجلّ من زهر الرَّبيع وزمُرّد الحسناء، لقد حبَّب بأَحاديثه ومروياته أرض الشَّام، كلَّ موضعٍ في الشّام، كلّ ذرّةٍ من تراب الشَّام، إلىٰ أبناء الشام، إلىٰ العرب في كلِّ صقعٍ ومكانٍ، يهيب بهم أن يبقوا في الأَرض، أَن يتشبّثوا بها، وأَن يهبُّوا لنجدتها، والزَّود عن حماها، وهل مثل الحبّ محرِّضٌ للدِّفاع والاستبسال والاستشهاد، ها هو ذا الحافظ أبو القاسم يترفَّق في حديثه، يعذب صوته، وترقّ نبراته، يحلي أَهل الشّام بأَحسن الصِّفات وأَرفعها، ويُضفي

= الترغيب والترهيب: (٣/ ٢٩٠)، والتبريزي في المشكاة: (٣٨٥٢).

(١) المزة: ضاحية من ضواحي دمشق، تشتهر اليوم بشوارعها الكبيرة، وأبنيتها الشاهقة.

(٢) كفر سوسية: والعوام يقولون: كفر سوسة. وهي من قرى دمشق.

(٣) الربوة: ضاحية من ضواحي دمشق على نهر بردى، يكثر فيها المطاعم الفاخرة.

(٤) النيرب: قرية مشهورة بدمشق على نصف فرسخ في وسط البساتين أنزه موضع، يقال: فيه مصلى الخضر عليه السلام.

(٥) جسرين: من قرى غوطة دمشق.

(٦) البلاط: من قرى غوطة دمشق.

(٧) دومة: من قرى غوطة دمشق، وهي غير دومة الجندل.

(٨) حرستا: قرية عامرة وسط بساتين دمشق على طريق حمص بينها وبين دمشق أكثر من فرسخ.

(٩) مسرابا: قرية من قرى دمشق.

(١٠) زملكا: قرية من قرى دمشق، وأصلها: زملكان، والعامة لا يلحقون به النون.

(١١) جوبر: قريةٌ بالغوطة من دمشق، وقيل: نهرٌ بها. قال الشاعر:

إذا افتخر القيسيّ فاذكر بلاده ... بزراعة الضحّاك شرقي جَوْبرا

(١٢) برزة: ضاحية من ضواحي دمشق.

(١٣) القصير: ضيعة تبعد عن دمشق خمسة كيلو مترات فيها مستشفى المجانين.

(١٤) كفر بطنا: قال ياقوت في معجمه: (٤/ ٤٦٨): أكثر ما يتكلّم بهذه الكلمة أهل الشام، فإنَّهم يُسمّون القرية: الكفر. وكفر بطنا: من قرى غوطة دمشق.

(١٥) منين: قرية في جبل سنير من أعمال الشام، وقيل: من أعمال دمشق.

عليهم برود العزَّة والشَّمم:

- أَهل الشّام إلىٰ منتهىٰ الجزيرة مرابطون.

- أَهل الشّام حصن الأُمّة.

ثمَّ هو يعلي من أَقدارهم، ويستثير حسّيّتهم، ويحرّضهم أَن يقتدوا بآبائهم، وينهجوا نهجهم، ويزيدوا في سموق بنيانهم.

لا يَـنْـفَـعُ الآبـاء مـا سـمـكـوا مِـنَ الـ
عـلـيـاء حـتـى يـرفـع الأَولادُ

ولا ينسىٰ الحافظ أَن يذكر عسقلان الشَّهيرة، والقدس المقدَّسة... لقد أَشرع القلم كما أَشرع مليكه الرُّمح، ومضيا يرميان جميعاً ويراميان معاً، يشجِّع قومه، ويزهىٰ بمفاخرهم، ويُنَوِّه بالنّصر والظَّفر، ويأسو الجراح إِن أَصابهم القرح: «**مَثَلُ المُؤمِنِ كمَثَلِ السُّنبُلَةِ تَخُرُّ مَرَّةً وتَستقيمُ مَرَّةً**»[١].

وبدأَ نور الدِّين مسيرته المظفَّرة لحرب الفرنج، ورأىٰ أَن قد آن الأوان لتوحيد الجبهة العربية التي تطوِّق الفرنج، وتحكم الحصار عليهم، وأَرسل أَسد الدِّين شيركوه[٢] إلىٰ مصر (جمادى الأولى ٥٥٩ هـ) ليؤلِّف بَيْن مصر والشَّام، ولكن شاور وزير العاضد نقض ما كان عاهد عليه نور الدِّين، وحالف الفرنج، وتعاونوا جميعاً لإخراج شيركوه،

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: (٣/٣٤٩)، وهو في مسند أحمد - طبعة الدار-: (١٤٧٦٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد: (٢/٢٩٣) وهو في مجمع الزوائد - طبعة الدار-: (٣٧٤٥)، والحديث رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) أسد الدين شيركوه: هو شيركوه بن شاذي بن مروان، أبو الحارث، أسد الدِّين، الملقّب بالملك المنصور، أوَّل من ولي مصر من الأكراد الأيوبيين، وهو أخو نجم الدّين أيوب، وعمُّ السُّلطان صلاح الدّين.

كان شيركوه من كبار القوّاد في جيش نور الدين محمود بن زنكي بدمشق، وأرسله نور الدِّين على رأس جيش إلى مصر سنة ٥٥٨ هـ نجدة لشاور بن مجير السّعدي وعاد، وذهب إليها ثانية سنة ٥٦٢ هـ لنجدة ابن أخيه (صلاح الدين) وقد حاصره شاور في الإسكندرية، فأصلح ما بينهما، وقويت صلته بالمصريين وعاد، وهاجم الفرنج بلدة (بلبيس) بمصر، وملكوها، فكتب إليه أهلها يستنجدونه، فأقبل للمرَّة الثالثة، وطرد الفرنج، وعلم بأنَّ شاور بن مجير يأتمر به لقتله هو ومن معه من كبار القوّاد، فتعاون مع صلاح الدّين على قتل شاور، وأرسل رأسه إلى الخليفة (العاضد) فدعاه العاضد، وخلع عليه، ولقّبه بالملك المنصور، وولاّه الوزارة، ولم يُقم غير شهرين وخمسة أيام، وتوفي فجأة سنة ٥٦٤ هـ الموافق ١١٦٩م، ودفن بالقاهرة، ثم نُقل إلى المدينة بوصيَّةٍ منه، وكان كما يصفه ابن تغري بردي: عاقلاً، شجاعاً، مدبراً، وقوراً.

فكان لهم ما أرادوا، وعاد شيركوه إلىٰ الشّام، وقيِّض لنور الدِّين فتح قلعة حارم[١] سنة ٥٥٩ هـ، وقلعة بانياس، وكان قد مضىٰ عليها بيد الفرنج ست عشرة سنة (٥٤٣ - ٥٥٩ هـ)، ثمَّ فتح حصن المنيطرة سنة ٥٦١ هـ.

وعاد نور الدِّين، فأرسل أسد الدِّين إلى مصر سنة ٥٦٢ هـ وجدَّد شاور حلفه مع الفرنج، وعاد أَسد الدِّين مرَّةً أُخرى إلىٰ الشام، ثمَّ جاءت الاستغاثة من العاضد **الفاطمي** سيّد مصر، يطلب نجدة نور الدِّين، ليصد جيوش الفرنج التي تريد أَن تجتاح بلاده، وسار أَسد الدِّين إلىٰ ديار مصر للمرَّة الثالثة سنة ٥٦٤ هـ، وصدَّ الفرنج، ودخل مصر، وتحقّق حلم نور الدِّين في إِحكام الحلقة على الفرنج.

واغتبط النَّاس أَيّما اغتباط، وأعظموا شأن الوحدة التي وسَّعت لهم فسحة الأمل، وشكروا لنور الدِّين صنعه العظيمٰ، وأَطافوا به يعربون له عن تأييدهم ليجري على غلوانه، لا يتوقّف ولا يتهيّب.

لـلّـه درّك نـور الـدِّيـن مـن مـلـكٍ

بـالـعـزمِ مُـفـتـتـح بـالـنَّـصـر مُـخـتـتـم

اغـزُ الـفـرنـجَ فـهٰـذا وقـت غـزوهـم

واحـطـم جـمـوعَـهُـم بـالـذّابـل الـحـطـم

وكان الحافظ أَبو القاسم في الخامسة والسِّتين من عمره، فنفض عن كاهله غبار السِّنين، وقد هزَّه الفتح المبين، وكسا برديه فرحة وفتاء، واستفزَّه الحنين أَن يرىٰ الأرض المغتصبة وقد تحرَّرت، واستبدَّ به حبُّ الأرض، وتملّكه الشَّوق إلىٰ ديار الأَحبّة، وطاع له القول، فإِذا هو ينشد نور الدِّين يحرِّضه علىٰ قصد بيت المقدس، مهوى أفئدة العرب في كلِّ أَقطارهم، ويدعوه إلىٰ استخلاصه من أيدي غاصبيه[٢]:

وإن بـذلـتَ لـفـتـح الـقـدس مـحـتـسـبـاً

لـلأجـرِ جـوزيـتَ خـيـراً غـيـر مـحـتـسـبِ

---

(١) حارم: حصنٌ حصينٌ، وكورة جليلة تجاه أنطاكية، وهي الآن من أعمال حلب، وفيها أشجار كثيرة ومياه، وهي بذلك وبئة، وهي فاعلٌ من الحرمان أو من الحريم، كأنها لحصانتها يحرمها العدو، وتكون حرماً لمن فيها.

(٢) انظر الأبيات في القصيدة رقم: (١)، باب: «ديوان ابن عساكر».

ولستَ تُعذرُ في ترك الجهادِ وقد
أَصبحتَ تملك من مصر إلىٰ حلبِ
وصاحب الموصل الحدباء ممتثلٌ
لما تريد فبادر فجأة النُّوَبِ
فأحزم النَّاس من قوَّىٰ عزيمتَهُ
حتَّى ينال بها العالي من الرُّتبِ

ورافق الإمام الحافظ نور الدِّين، ونصح له، ووقف على نصرته قلمه ولسانه، أَعدَّها سلاحاً ماضياً من أَسلحة المعركة الطويلة الحاسمة، وظلَّ إلىٰ جانبه حتى أَغمض نور الدِّين عينيه في دمشق التي أحبّ في شوال سنة ٥٦٩ هـ، واستقبلت دمشق من بعده السّلطان صلاح الدين الأيوبي[١]، في ربيع الأول سنة ٥٧٠ هـ هديّة السَّيِّد للسَّيِّد.

(١) صلاح الدين الأيوبي: هو يوسف بن أيوب بن شاذي، أبو المظفّر، الملقب بالملك الناصر، من أشهر ملوك الإسلام، كان أبوه وأهله من قرية دُوين (في شرقي أذربيجان). وهم بطنٌ من الروادية، من قبيلة الهذانية، من الأكراد، نزلوا بتكريت. وولد بها صلاح الدين سنة ٥٣٢ هـ الموافق ١١٣٧م، وتوفي فيها جده شاذي، ثمّ ولي أبوه (أيوب) أعمالاً في بغداد والموصل ودمشق، ونشأ هو في دمشق، وتفقه وتأدّب وروى الحديث بها وبمصر والإسكندرية، وحدَّ في القدس، ودخل مع أبيه (نجم الدين) وعمه (شيركوه) في خدمة نور الدِّين محمود بن عماد الدين زنكي، واشترك صلاح الدين مع عمه شيركوه في حملةٍ وجَّهها نور الدين للاستيلاء علىٰ مصر سنة ٥٥٩ هـ، فكانت وقائع ظهرت فيها مزايا صلاح الدِّين العسكرية، وتم لشيركوه الظّفر أخيراً، باسم السلطان نور الدين، فاستولىٰ على زمام الأمور بمصر، واستوزره خليفتها العاضد الفاطمي، ولكن شيركوه ما لبث أن مات، فاختار العاضد للوزارة وقيادة الجيش صلاح الدين، ولقّبه بالملك الناصر، وهاجم الفرنج دمياط، فصدّهم صلاح الدّين، ثمّ استقلّ بملك مصر، مع اعترافه بسيادة نور الدّين، ومرض العاضد مرض موته، فقطع صلاح الدين خطبته، وخطب للعباسيين، وانتهىٰ بذلك أمر الفاطميين، ومات نور الدين سنة ٥٦٩ هـ فاضطربت البلاد الشامية والجزيرة، ودُعي صلاح الدّين لضبطها، فأقبل على دمشق سنة ٥٧٠ هـ فاستقبلته بحفاوة، وانصرف إلىٰ ما وراءها، فاستولى على بعلبك، وحمص، وحماه، وحلب، ثمّ ترك حلب للملك الصّالح إسماعيل بن نور الدّين، وانصرف إلى عملين جدّيين: أحدهما: الإصلاح الداخلي في مصر والشام، بحيث كان يتردّد بين القطرين. والثاني: دفع غارات الصّليبيين ومهاجمة حصونهم وقلاعهم في بلاد الشام، فبدأ بعمارة قلعة مصر، وأنشأ مدارس وآثاراً فيها، ثمّ انقطع عن مصر بعد رحيله عنها سنة ٥٧٨ هـ إذ تتابعت أمامه حوادث الغارات، وصدّ الاعتداءات الفرنجيّة في الدّيار الشامية، فشغلته بقيّة حياته، ودانت لصلاح الدّين البلاد من آخر حدود النّوبة جنوباً وبرقة غرباً إلى بلاد الأرمن شمالاً، وبلاد الجزيرة والموصل شرقاً، وكان أعظم انتصار له على الفرنج في فلسطين والسّاحل الشامي (يوم حطين) الذي تلاه استرداد طبرية وعكا ويافا إلى ما بعد بيروت، ثمّ افتتاح القدس سنة ٥٨٣ هـ، ووقائع على أبواب صور، فدفاعٌ مجيدٌ من عكا انتهى بخروجها من يده سنة ٥٨٧ هـ بعد أن اجتمع لحربه ملكا فرنسا وإنكلترة بجيشيهما وأسطوليهما، وأخيراً عقد=

رحم اللّه نور الدِّين الذي وقف حياته، ونذر نفسه لخدمة وطنه، كانت أيامه معارك متلاحقة يشنّها على أعداء بلاده المعتدين، حارب الفرنج حرب استئصال، وكان لا يرى إلاَّ الجدَّ في غزوهم بجهده وطاقته، فحالف السُّيوف، ووالى الفتوح، وبذل وضحَّىٰ ليل نهار يكافح في سبيل الوحدة والتَّحرير، ومضىٰ في طريق النّجاح أشواطاً، ثمَّ قضىٰ وهو في الثامنة والخمسين من عمره (٥١١ - ٥٦٩ هـ) أشدَّ ما كان النَّاس تعلُّقاً به، وحبّاً له، واندفاعاً في تأييده، وكان قد اتّسع ملكه جدّاً، فملك الموصل، وديار بكر، والجزيرة، وأطاعه أصحاب ديار بكر، وملك الشام، والدِّيار المصرية، واليمن، وخطب له بالحرمين الشريفين: مكة والمدينة، وطبّق الأرض ذكره، لحسن سيرته وعدله، ولم يكن مثله إلاَّ الشّاذ النّادر، هذا مع ما جمع الله له من العقل المتين، والرأي الثاقب الرَّصين[١].

لقد استطاع نور الدِّين بعبقريّته الفذَّة، وإيمانه بأُمَّته ووطنه، أن يوحِّد الجماهير العربية، ويضمُّ قواها المنتشرة، ويُطلق طاقاتها العظيمة لتتجلّى بطولات ومآثر وتضحيات وعطاء لا حدود له، وصنعت الجماهير العربيّة المعجزات، ومضت في تحقيق أهدافها لا يقفها شيءٌ، ولا يحجزها عقبة، وهيّأ نور الدِّين ومهّد بعمله العظيم لانتصار قرينه في الجهاد والنّضال السُّلطان صلاح الدِّين، في تلك المعارك الخالدة على وجه الدَّهر: معركة حطّين التي لم يصب الفرنج منذ خرجوا إلىٰ السَّاحل سنة ٤٩١ هـ بمثلها، وفتح بيت المقدس، وفتح عسقلان.

ولم يطل بالحافظ أَبي القاسم طلق العمر بعد موت خدينه[٢] وصفيّه الملك العادل

= الصّلح بينه وبين كبير الفرنج ريكاردوس قلب الأسد (ملك إنكلترة) على أن يحتفظ الفرنج بالسّاحل من عكا إلىٰ يافا، وأن يسمح لحجّاجهم بزيارة بيت المقدس وأن تخرّب عسقلان ويكون الساحل من أولها إلى الجنوب لصلاح الدين، وعاد ريكاردوس إلى بلاده، وانصرف صلاح الدين من القدس بعد أن بنى فيها مدارس ومستشفيات، ومكث في دمشق مدةً قصيرةً انتهت بوفاته سنة ٥٨٩ هـ الموافق ١١٩٣م. كان صلاح الدِّين رقيق النّفس والقلب، على شدَّة بطولته، رجل سياسة وحرب، بعيد النّظر، متواضعاً مع جنده وأمراء جيشه، لا يستطيع المتقرّب منه إلاَّ أَن يحس بحبٍّ له ممزوجٌ بهيبةٍ. اطّلع على جانبٍ حسنٍ من الحديث والفقه والأدب، ولا سيّما أنساب العرب ووقائعهم، وحفظ ديوان الحماسة، ولم يدَّخر لنفسه مالاً ولا عقاراً، وكانت مدَّة حكمه بمصر (٢٤) سنة، وبسورية (١٩) سنة، وخلف من الأولاد (١٧) ذكراً وأنثى واحدة.

انظر: الكامل لابن الأثير: (١١/ ١٨١)، وكتاب الروضتين: (١/ ٢٢٨ - ٢٢٩)، وكتاب الباهر: (١٦١ - ١٦٢).

(٢) خدن: الصديق الذي يكون معك ظاهراً وباطناً في كلِّ أمر (للذكر والأنثى) الجمع: أخدانٌ. وخادنه: صادقه، فهو مخادنٌ، وخدين.

نور الدّين، فوافته منيَّته في شهر رجب سنة ٥٧١ هـ بدمشق، راضياً عمَّا صنع وبذل، مؤمناً بتحرُّر بلاده وشعبه، ودُفن عند والده وأَهله بمقابر باب الصَّغير، وحضر الصَّلاة عليه السُّلطان صلاح الدين، وقد وُجِد في أُصول كتبه ما يشير إلىٰ أَنَّه كان يزمع تأليف كتاب جديد في فضل الجهاد، يحفز الأَجيال لمتابعة الخطا في تحرير الأرض واستنقاذ الوطن، وحزنت دمشق لموت عالمها الكبير أشدّ الحزن وأَشجاه، وترنّمت مع شاعرها فتيان الأسدي تتفجع لمصابها[١].

أيُّ ركـــنٍ وهـــىٰ مـــن الـــعُـــلَـــمـــاءِ
أيُّ نـــجـــمٍ هـــوىٰ مـــن الـــعـــلـــيـــاءِ

أقـــفـــرتْ بـــعـــده ربـــوعُ الأَحـــاديـــ
ـثِ وأقـــوت مـــعـــالـــمُ الأَنـــبـــاءِ

كـــانَ نـــاديـــه كـــالـــرِّيـــاضِ إذَا مـــا
ضـــحـــكَ الـــنَّـــورُ عـــن بـــكـــا الأَنـــداءِ

مـــا عـــســـىٰ أن نـــقـــولَ فـــيـــك وقـــد فـــا
تـــت أَيـــاديـــك جـــمـــلـــة الأحـــصـــاءِ

فـــعـــلـــيـــكَ الـــسَّـــلام لاح وجـــه الـــصُّـــ
ـبـــحِ مـــن تـــمـــحـــت طُـــرَّة ســـوداءِ

وســـقـــى الـــتُّـــربـــة الـــتـــي غـــبـــتَ فـــيـــهـــا
كـــلُّ جـــون وديـــمـــةٍ هـــطـــلاءِ

(١) انظر القصيدة كاملة في الديوان باب: «ابن عساكر في الشعر العربي».

ما كنّا نُسَمِّي الشَّيخ أَبا

القاسم ببغداد إِلاَّ شعلة نارٍ

من توقّده وذكائه وحُسن

إدراكه.

الحسن بن أحمد المقرىء

السِّيرة الذَّاتيَّة

هو علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين، الإمام الجليل، حافظ الأُمَّة، أبو القاسم ابن عساكر، الشّيخ الإمام، ناصر السُّنَّة وخادمها. وقامع جند الشَّيطان بعساكر اجتهاده وهادمها، إمام أَهل الحديث في زمانه، وختام الجهابذة الحفاظ، ولا ينكر أَحدٌ منه مكانة مكانه، محطُّ رحال الطَّالبين، وموئل ذوي الهمم من الراغبين، الواحد الذي أجمعت الأُمّة عليه، والواصل إلى ما لم تطمح الآمال إليه، والبحر الذي لا ساحل له، والحبر الذي حمل أعباء السُّنَّة كاهله، قطع اللَّيل والنهار دائبين في دأبه، وجمع نفسه على أشتات العلوم، لا يتَّخذ غير العلم والعمل صاحبين، وهما منتهى أربه، حفظٌ لا تغيب عنه شاردة، وضبطٌ استوت لديه الطريقة والتالدة، وإِتقانٌ ساوى به من سبقه إِن لم يكن فاقه، وسعة علم أثرى بها، وترك النَّاس كلّهم بين يديه ذوي فاقة[١].

ولد الإمام ابن عساكر في مستهل سنة تسع وتسعين وأربعمائة في مدينة دمشق الموافق سنة خمس ومائة وألف ميلادية، وسمع خلائق، وعدة شيوخه ألف وثلاثمائة شيخ، ومن النّساء بضع وثمانون امرأة.

وسمع منه جماعةٌ من الحفَّاظ كأبي العلاء الهمذاني، وأبي سعد السمعاني، وروى عنه الجمُّ الغفير، والعدد الكثير، ورويت عنه مصنّفاته وهو حيّ بالإجازة، في مدن خراسان وغيرها، وانتشر اسمه في الأرض، ذات الطُّول والعرض.

تفقَّه ابن عساكر في حداثته بدمشق على الفقيه أبي الحسن السّلمي، ولمَّا دخل بغداد لزم بها التّفقه وسماع الدُّروس بالمدرسة النّظاميّة، وقرأ الخلاف والنحو، ولم يزل طول عمره مواظباً على صلاة الجماعة، ملازماً لقراءة القرآن الكريم، مُكثراً من النَّوافل والأذكار، والتسبيح آناء اللّيل وأطراف النهار، وله في العشر من شهر رمضان في كل يوم ختمة، غير ما يقرؤه في الصّلوات. وكان يختم كلَّ جمعةٍ، ولم يُرَ إلاَّ في اشتغالٍ، يُحاسب نفسه على ساعةٍ تذهب في غير طاعةٍ.

ولمّا حملت به أُمُّه، رأىٰ والده في المنام أَنّه يولد لك ولدٌ، يحيي الله به السُّنَّة،

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: (٧/ ٢١٥).

ولعمر الله هكذا كان، أحيا الله به السُّنَّة، وأَمات به البدعة، يصدع بالحقّ لا يخاف في الله لومة لائم، ويسطو على أعداء الله المبتدعة، ولا يبالي وإن رغم أنف الرَّاغم، لا تأخذه رأفة في دين الله، ولا يقوم لغضبه أحدٌ إذا خاض الباغي في صفات الله تعالى.

قال له شيخه أبو الحسن بن قبيس، وقد عزم علىٰ الرِّحلة:

- إنّي لأرجو أن يُحيي الله تعالىٰ بك هٰذا الشأن. فكان كما قال، وعدَّت كرامةً للشيخ وبشارة للحافظ.

ولمَّا دخل الحافظ ابن عساكر مدينة بغداد، أُعجب به العراقيون، وقالوا: ما رأينا مثله، وكذلك قال مشايخه الخراسانيّون.

وقال شيخه أبو الفتح المختار بن عبد الحميد:

- قدم علينا أَبو علي بن الوزير، فقلنا: ما رأينا مثله، ثمَّ قدم علينا أبو سعد بن السُّمعاني، فقلنا: ما رأينا مثله، حتى قدم علينا هذا فلم نر مثله[١].

وقال الحافظ أبو العلاء الهمداني لبعض تلامذته وقد استأذنه أن يسافر:

- إن عرفت أُستاذاً أعلم منّي، أو يكون في الفضل مثلي فحينئذ آذن لك أن تسافر إليه، اللّهمَّ إلاّ أن تُسافر إلىٰ الشيخ الحافظ ابن عساكر، فإنه حافظٌ كما يجب.

وقال شيخه الخطيب أبو الفضل الطوسي:

- ما نعرف من يستحقُّ هذا اللقب اليوم سواه - يعني لفظة الحافظ -.

وكان يُسَمَّى في بغداد (شعلة نار) من توقّده وذكائه وحُسن إدراكه، لم يجتمع في شيوخه ما اجتمع فيه، من لزوم طريقةٍ واحدةٍ منذ أربعين سنة، يلازم الجماعة في الصَّفِّ المقدم إلاّ من عذرٍ مانعٍ، والاعتكاف والمواظبة عليه في الجامع، وإخراج حق الله، وعدم التَّطلُّع إلىٰ أَسبابِ الدُّنيا، وإعراضه عن المناصب الدّينيّة، كالإمامة، والخطابة، بعد أن عرضتا عليه.

قال ولده الحافظ بهاء الدِّين أبو محمد القاسم:

- قال لي أَبي: لمّا حملت بي أُمي رأت في منامها قائلاً يقول لها:

---

(١) تذكرة الحفاظ: (٤/ ١٣٣١)، ومعجم الأدباء: (١٣/ ٨٤).

- تلدين غلاماً يكون له شأنٌ، فإذا ولدته فاحمليه إلى المغارة - يعني مغارة الدَّم في جبل قاسيون - يوم الأربعين من ولادته، وتصدَّقي بشيء، فإنَّ الله تعالىٰ يُبارك لكِ وللمسلمين فيه.

ففعلت ذلك كلّه، وصدّقت اليقظة منامها، ونبّهه السّعد، فأسهره اللّيالي في طلب العلم، وغيره سهرها في طلب الشّهوات أَو نامها، وكان له الشّأن العظيم والشّأو الذي يجلّ عن التّعظيم.

وفيه يقول الحافظ ابن النّجار:

هو إمام المحدّثين في وقته، ومن انتهت إليه الرّياسة في الحفظ والإتقان، والمعرفة التّامة بعلوم الحديث، والثّقة والنّبل، وحُسن التَّصنيف والتَّجويد، وبه خُتم هذا الشَّأن.

وروي أنَّ أبا عبد الله محمد بن الفضل الفراوي قال:

قدم الحافظ ابن عساكر فقرأ عليَّ ثلاثة أيام، فأكثر وأضجرني، فآليتُ على نفسي أَن أُغلق بابي، فلمَّا أصبحنا قدم عليَّ شخصٌ فقال:

- أنا رسول رسول الله ﷺ إليك.

فقلت: مرحباً بك.

فقال: قال لي في النوم: امض إلى الفراوي وقل له: قَدِمَ بلدكم شخصٌ شاميٌّ أسمر اللَّون يطلب حديثي فلا تملّ منه.

قال الحاكي: فوالله ما كان الفراوي يقوم حتَّى يقوم الحافظ(١).

وروى ولد الحافظ أبو محمد القاسم قال:

كان أَبي قد سمع كتباً كثيرةً لم يُحَصِّل منها نسخاً، اعتماداً منه علىٰ نسخ رفيقه الحافظ أَبي عليّ بن الوزير، وكان ما حصله ابن الوزير لا يحصله أبي، وما حصَّله أبي لا يحصله ابن الوزير، فسمعته ليلةً من اللَّيالي، وهو يتحدَّث مع صاحبٍ له في ضوء القمر في الجامع فقال:

- رحلتُ وما كأنِّي رحلت، وحصلتُ وما كأنِّي حصلتُ، كنت أَحسب أنَّ رفيقي

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: (٧/ ٢١٧).

ابن الوزير يقدّم بالكتب التي سمعتها، مثل (صحيح البخاري)، و (صحيح مسلم)، وكتب البيهقي، وعوالي الأجزاء، فاتّفقت سكناه بمرو، وإقامته بها، وكنت أؤمل وصول رفيقٍ آخر يُقال له: يوسف بن فاروا الجياني، ووصول رفيقنا أبي الحسن المرادي فإنَّه يقول لي: ربّما وصلت إلى دمشق، وتوجّهت منها إلى بلدي الأندلس وما أرى أحداً منهم جاء إلى دمشق، فلا بدّ من الرّحلة ثالثاً، وتحصيل الكتب الكبار، والمهمّات من الأجزاء العوالي. فلم يمضي إلاّ أيّام يسيرة حتى جاء إنسانٌ من أصحابه إليه، ودقّ عليه الباب، وقال:

- هذا أبو الحسن المرادي قد جاء.

فنزل أبي إليه وتلقاه وأنزله في منزله، وقدم علينا بأربعة أَسفاطٍ مملوءة من الكتب المسموعات.

ففرح أَبي بذلك فرحاً شديداً، وشكر الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ ما يسّره له من وصول مسموعاته إليه من غير تعبٍ، وكفاه مؤونة السَّفر، وأَقبل على تلك الكتب، فنسخ واستنسخ حتّى أتىٰ علىٰ مقصوده منها. وكان كلّما حصل على جزءٍ منها كأنّه حصل على ملك الدُّنيا[١].

وقال الحافظ أبو محمد عبد العظيم بن عبد الله المنذري:

- سألتَ شيخنا الحافظ أبا الحسن علي بن المفضل المقدسي فقلت له: أَربعةٌ من الحفَّاظ تعاصروا، أيُّهم أحفظ؟

قال: من هم؟

فقلت له: الحافظ ابن عساكر، وابن ناصر.

قال: ابن عساكر أحفظ.

قلت: الحافظ أبو العلاء وابن عساكر؟

قال: ابن عساكر أحفظ.

---

(١) المرجع السابق.

قلت: الحافظ أبو طاهر السّلفي وابن عساكر؟

فقال: السّلفي أستاذنا. . . السّلفي أُستاذنا[١].

وللحافظ ابن عساكر شعرٌ كثيرٌ، قلمّا أملى مجلساً إلاّ وختمه بشيءٍ من شعره.

توفي الحافظ ابن عساكر في حادي عشر شهر رجب الفرد سنة إحدى وسبعين وخمسمائة بدمشق، ودفن بمقبرة باب الصَّغير.

وكان الملك العادل محمود بن زنكي نور الدين قد بنى له دار الحديث النُّوريَّة، فدرَّس بها إلى حين وفاته، غير ملتفتٍ إلى غيرها، ولا متطلِّعٍ إلى زخرف الدُّنيا، ولا ناظرٍ إلىٰ محاسن دمشق ونزهها، بل لم يزل مواظباً على خدمة السُّنَّة والتَّعبُّد باختلاف أَنواعه، صلاةً، وصياماً، واعتكافاً، وصدقةً، ونشر علمٍ، وتشييع جنائز، وصلات رحمٍ إلىٰ حين قبض.

رحم الله تعالى الإمام ابن عساكر ورضي عنه.

---

(١) قال الحافظ الذهبي، وأبو العباس بن المظفّر:

هذا دليلٌ على أنّ ابن عساكر أحفظ، إلاّ أنه وقّر شيخه أن يصرّح بأن ابن عساكر أحفظ منه.

وقال الحافظ الذهبي: وإلا فابن عساكر أحفظ منه، وما أرى ابن عساكر رأى مثل نفسه.

من نظر في تاريخ الشَّام وتأمّله

رأىٰ ما وصفه فيه وأهله، وحكم

بأنَّه فريد دهره في التّواريخ،

وأَنَّه الذّروة العليا من الشماريخ.

الحافظ ابن كثير

مؤلَّفات الحافظ ابن عساكر

يُعد الإمام الحافظ ابن عساكر من أَعاظم المؤلفين الثّقات الذين نشأوا في القرن السّادس للهجرة الموافق القرن الثاني عشر للميلاد، فقد صنّف كتباً ورسائل كثيرة، زاد عددها علىٰ مائتي مصنّف، تتناول بوجهٍ خاصٍّ علوم الحديث والتاريخ.

ولعلَّ اشهر ما اشتهر به الحافظ ابن عساكر كتابه: (تاريخ مدينة دمشق)، ذلك السِّفر الواسع المترامي الأطراف، الذي أَلَّفه في نحو من ثمانين مجلداً، فهو يدخل في عداد المؤلّفات العظيمة المؤلّفة باللُّغة العربية، هذا إلى ما صنّفه من تآليف (متوسّطة) و (صغيرة) ضاع جانبٌ منها لا يستهان به، وسلم جانبٌ آخر.

ولقد حاولت في هذا البحث أن ألمَّ ما أمكن بأسماء هذه المؤلَّفات، معتمداً في ذلك إلىٰ أُمّهات المصادر القديمة والحديثة التي عُنيت بترجمة ابن عساكر، أو ذكرت شيئاً من أسماء مصنّفاته.

ولعلَّ أوفى ما وقفت عليه في هذا الباب، تلك الرّسالة التي كتبها ابنه القاسم، وضمّنها أسماء طائفة صالحة من مؤلّفات أبيه، وقد أورد ياقوت الحموي معظم ما جاء فيها، دون ترجمة ابن عساكر، وأَثبتها في كتابه (معجم الأدباء)[١].

مؤلفات الحافظ ابن عساكر:

١ - الأبدال: كتابٌ ضائعٌ.

٢ - أبيات: مخطوط في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد.

٣ - إتحاف الزائر: كتابٌ ضائعٌ.

٤ - إجابة السُّؤال في أَحاديث شعبة: جزء واحد.

٥ - الاجتهاد في إقامة فرض الجهاد: أربعون حديثاً.

٦ - أحاديث أبي الأشعث الصّنعاني: ثلاثة أجزاء.

٧ - أحاديث برزة: مطبوع.

---

(١) معجم الأدباء: (١٣/ ٧٣).

٨ - أحاديث يعقوبا: محقق.

٩ - أحاديث البلاط: (من قرى غوطة دمشق).

١٠ - أحاديث بيت أرانس: (من قرى غوطة دمشق).

١١ - أحاديث بيت سوا: (من قرى غوطة دمشق).

١٢ - أحاديث بيت قوفا: (من قرى غوطة دمشق).

١٣ - أحاديث بيت لهيا: (من قرى غوطة دمشق).

١٤ - أحاديث جديا: (من قرى غوطة دمشق).

١٥ - أحاديث جسرين: (من قرى غوطة دمشق).

١٦ - أحاديث جماعة من كفرْ سوسية: (من قرى غوطة دمشق).

١٧ - أحاديث جوبر: (من قرى غوطة دمشق).

١٨ - أحاديث حجيرا (من قرى غوطة دمشق).

١٩ - أحاديث حردان: (من قرى غوطة دمشق).

٢٠ - أحاديث حرستا: (من قرى غوطة دمشق).

٢١ - أحاديث الحميريين: (من قرى غوطة دمشق).

٢٢ - أحاديث حنش والمطعم وحفص الصّنعانيين.

٢٣ - الأحاديث الخماسيات وأخبار أبي الدُّنيا: مطبوع.

٢٤ - أحاديث دقانية: (من قرى غوطة دمشق).

٢٥ - أحاديث دومة: (من قرى غوطة دمشق).

٢٦ - أحاديث زبدين: (من قرى غوطة دمشق).

٢٧ - الأحاديث السُّباعيّة الأسانيد.

٢٨ - أحاديث سقبا: (من قرى غوطة دمشق).

٢٩ - أحاديث شعبة.

٣٠ - أحاديث صنعاء الشام: (من قرى غوطة دمشق).

٣١ - أحاديث طرميس: (من قرى غوطة دمشق).

٣٢ - أحاديث عين ترماد: (من قرى غوطة دمشق).

٣٣ - أحاديث خذايا: (من قرى غوطة دمشق).

٣٤ - أحاديث قبر سعد: (من قرى غوطة دمشق).

٣٥ - أحاديث القصير: (من قرى غوطة دمشق).

٣٦ - أحاديث قينية: (من قرى غوطة دمشق).

٣٧ - أحاديث كفر بطنا (من قرى غوطة دمشق).

٣٨ - الأحاديث المتخيِّرة في فضائل العشرة: يقال له: فضائل العشرة.

٣٩ - أحاديث المزّة: (من قرى غوطة دمشق).

٤٠ - أحاديث مسرابا: (من قرى غوطة دمشق).

٤١ - أحاديث منين: (من قرى غوطة دمشق).

٤٢ - أخبار أبي عمرو الأوزاعي وفضائله.

٤٣ - أخبار أبي محمد سعد بن عبد العزير وعواليه.

٤٤ - أخبار لحفظ القرآن: مخطوط في الظّاهرية.

٤٥ - الأربعون الأبدال العوال: مخطوط في الظّاهرية.

٤٦ - أربعون البلدان: ويقال له: الأربعون البلدانيّة.

٤٧ - الأربعون في الجهاد.

٤٨ - أربعون حديثاً عن أربعين شيخاً من أربعين مدينة.

٤٩ - أربعون حديثاً في الحث على الجهاد: في المكتبة الظّاهرية.

٥٠ - أربعون حديثاً من مسموعاته: في المكتبة الظاهرية.

٥١ - الأربعون الطوال.

٥٢ - أربعون المصافحات.

٥٣ - الأشراف على معرفة الأطراف: في مكتبة أيا صوفيا بتركيا.

٥٤ - الاعتزاز بالهجرة.

٥٥ - الاقتداء بالصادق في حفر الخنادق.

٥٦ - أمالي في الحديث.

٥٧ - أَمالي في الصوم: في المكتبة الظاهرية.

٥٨ - إملاء أربعمائة مجلس وثمانية مجالس في فنٍّ واحد.

٥٩ - الإنذار بحدوث الزلازل.

٦٠ - البيان في فضل كتابة القرآن.

٦١ - تاريخ مدينة دمشق، وذكر فضلها، وتسمية من حلّها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها: مطبوع، قامت الدار بتحقيقه وطباعته بلونين ضمن (٧٠) مجلد، وقد ضمت إليه (٤) مجلدات المستدرك، عدا مجلدات الفهارس الفنّيّة.

٦٢ - تاريخ المزة.

٦٣- التالي لحديث مالك العالي.

٦٤ - تبيان الوهم والتَّخليط الواقع في حديث الأطيط: ويقال له: (التخليط عن حديث الأطيط).

٦٥ - تبيين الامتنان بالأمر بالاختتان: في دار الكتب المصرية.

٦٦ - تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري: طباعة دار الفكر - بيروت.

٦٧ - التجريد.

٦٨ - تحريم الابنة.

٦٩ - تحفة ذوي الألباب.

٧٠ - تخريج إحدى عشرة مشيخة لشيخه أبي غالب بن البناء. ويقال له: المشيخات الإحدى عشرة التي خرَّجها لشيخه أبي غالب البناء.

٧١ - تخريج أربعين حديثاً مساواة للإمام أبي عبد الله الفراوي.

٧٢ - تخريج سبعة مجالس لشيخه الإمام أبي الحسن السَّلمي والكلام عليها.

٧٣ - تخريج مشيخة أبي المعالي عبد الله بن أحمد الحلواني الأصولي.

٧٤ - ترتيب الصّحابة الذي في مسند أبي يعلى.

٧٥ - ترتيب الصَّحابة في مسند أحمد: مكتبة فاتح باستانبول.

٧٦ - تشريف يوم الجمعة.

٧٧ - تقوية المنّة على إنشاء دار السُّنَّة.

٧٨ - تكميل الإنصاف والعدل بتعجيل الإسعاف بالعزل.

٧٩ - التنزيه.

٨٠ - تهذيب المتلمّس من عوالي مالك بن أنس: ويقال له: تهذيب الملتمس.

٨١ - التَّوبة: في المكتبة الظاهرية.

٨٢ - ثواب الصَّبر على المصاب بالولد: ويقال له: المصاب بالولدان.

٨٣ - الجزء الحادي والخمسون من أماليه: في المكتبة الظَّاهرية.

٨٤ - جزء من مسموعاته: في المكتبة الظّاهرية.

٨٥ - الجواب المبسوط لمن أنكر حديث الهبوط.

٨٦ - الجواهر واللآلي في الأبدال العوالي.

٨٧ - حديث ابن جريج.

٨٨ - حديث أَهل حردان.

٨٩ - حديث أهل فدايا وبيت أرانس وبيت قوفا.

٩٠ - حديث أهل قرية بيت البلاط: (من قرى غوطة دمشق).

٩١ - حديث أهل قرية الحميريين وقينية.

٩٢ - حديث أهل كفر بطنا (من قرى غوطة دمشق).

٩٣ - حديث سعد بن عبادة.

٩٤ - حديث سلمة بن علي الحسيني البلاطي.

٩٥ - حديث يحيى بن حمزة البتلهي وعواليه.

٩٦ - حلول المحنة بحصول الإبنة.

٩٧ - الخماسيات.

٩٨ - دفع التثريب على من قسر معنى التثويب.

٩٩ - ذم ذي الوجهين واللسانين.

١٠٠ - ذم الرافضة.

١٠١ - ذم قرناء السوء.

١٠٢ - ذم من لا يعمل بعلمه: في المكتبة الظاهرية.

١٠٣ - ذم اليهود وتخليدهم في النار.

١٠٤ - رفع التَّخليط عن حديث الأطيط.

١٠٥ - روايات ساكني داريا (من قرى غوطة دمشق).

١٠٦ - الزّهادة في بذل الشهادة.

١٠٧ - سباعيات في الحديث.

١٠٨ - السّداسيات.

١٠٩ - سعة رحمة الله.

١١٠ - الصّفات.

١١١ - صفات الله تعالى: في المكتبة الظاهرية.

١١٢ - طرق حديث عبد الله بن عمر.

١١٣ - العزلة.

١١٤ - عوالي حديث سفيان الثوري وخبره. ويسمى: عوالي الثوري.

١١٥ - عوالي شعبة.

١١٦ - عوالي مالك بن أنس.

١١٧ - فضائل ذكر الله.

١١٨ - فضائل الصّدّيق رضي الله عنه.

١١٩ ـ فضائل عثمان رضي الله عنه.

١٢٠ ـ فضائل علي رضي الله عنه.

١٢١ ـ فضائل عمر رضي الله عنه.

١٢٢ ـ فضائل مقام إبراهيم ومن حديث أهل برزة.

١٢٣ ـ فضائل أصحاب الحديث.

١٢٤ ـ فضل بيت المقدس.

١٢٥ ـ فضل الجمرتين.

١٢٦ ـ فضل الجهاد.

١٢٧ ـ فضل الربوة والنيرب ومن حدث بهما.

١٢٨ ـ فضل رجب: في المكتبة الظاهرية.

١٢٩ ـ فضل سعد بن أبي وقّاص: في المكتبة الظاهرية.

١٣٠ ـ فضل شعبان: في المكتبة الظاهريّة.

١٣١ ـ فضل شهر رمضان: في المكتبة الظاهريّة.

١٣٢ ـ فضل الصّوم.

١٣٣ ـ فضل عاشوراء والمحرم.

١٣٤ ـ فضل عبد الله بن مسعود.

١٣٥ ـ فضل عسقلان.

١٣٦ ـ فضل قريش وأهل البيت والأنصار والأشعريين.

١٣٧ ـ فضل الكرم على أهل الحرم.

١٣٨ ـ فضل المدينة.

١٣٩ ـ فضل مكة.

١٤٠ ـ فضل يوم عرفة: في المكتبة الظاهرية.

١٤١ ـ فضيلة ذكر الله عزّ وجل: في المكتبة الظاهرية.

١٤٢ - القول في جملة الأسانيد في حديث المؤيد.

١٤٣ - كشف المغطى في فضل الموطا.

١٤٤ - ما وجده في سماعه مما يلتحق بالجزء الرباعي.

١٤٥ - ما وقع في أحاديث مالك من الغرائب والمسلسلات.

١٤٦ - ما وقع للأوزاعي من العوالي.

١٤٧ - مجالس شيخه أبي الحسن السلمي.

١٤٨ - المجلس الأربعون من أماليه.

١٤٩ - المجلس الثالث والخمسون من أماليه.

١٥٠ - المجلس الثمانون بغد المائتين من أماليه.

١٥١ - مجموع الرّغائب مما وقع من أحاديث مالك من الغرائب.

١٥٢ - مجموع من أحاديث جماعة من أهل بعلبك.

١٥٣ - مجموع من حديث محمد بن يحيى بن حمزة الحضرمي البتلهي.

١٥٤ - مدح التَّواضع وذم الكبر.

١٥٥ - المستفيد في الأحاديث السباعيّة الأسانيد.

١٥٦ - مسلسل العيدين.

١٥٧ - المسلسلات.

١٥٨ - مسند أبي حنيفة.

١٥٩ - مسند أهل داريا.

١٦٠ - مسند مكحول وأبي حنيفة.

١٦١ - مشيخة أبي غالب بن البناء.

١٦٢ - مصافحة لأبي سعد السّمعاني وأربعين حديثاً.

١٦٣ - معجم أسماء القرى والأمصار التي سمع بها.

١٦٤ - معجم الشيوخ النبلاء: (ضائع).

١٦٥ - معجم الصحابة.

١٦٦ - معجم شيوخ البخاري ومسلم وأبي داود وأبي عيسى التّرمذي والنّسائي وابن ماجه.

١٦٧ - المعجم في تراجم رجال الكتب السّتة.

١٦٨ - المعجم لمن سمع منه وأَجاز له.

١٦٩ - المعجم المشتمل على ذكر أسماء الشيوخ الأئمة النبل: في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد.

١٧٠ - معجم النّسوان.

١٧١ - معنى قول عثمان: ما نمنيت ولا تمنيت.

١٧٢ - المقالة الفاضحة للرّسالة الواضحة.

١٧٣ - من حديث أبي بكر بن محمد بن رزق الله المنيني المقرىء.

١٧٤ - من حديث أهل سوا.

١٧٥ - من حديث أهل دقانية وجخراء وعين ترماد وجديا وطرميس (كلها من قرى غوطة دمشق).

١٧٦ - من حديث أهل زندين[١] وجسرين.

١٧٧ - من حديث أهل كفر بطنا.

١٧٨ - من حديث جماعة من أهل بيت لهيا.

١٧٩ - من حديث جماعة من أهل جوبر: (من قرى غوطة دمشق).

١٨٠ - من حديث جماعة من أهل حرستا.

١٨١ - من حديث دومة ومسرابا والقصير.

١٨٢ - من حديث سعد بن عبادة.

---

(١) ربما تكون: زبداني.

١٨٣ - من حديث يحيى بن حمزة البتلهي وعواليه.

١٨٤ - من حديث بسرة بن صفوان وابنه وابن ابنه.

١٨٥ - من سمع من النّسوان.

١٨٦ - من لا يكون مؤتمناً لا يكون مؤذناً.

١٨٧ - من نزل المزّة وحدَّث بها.

١٨٨ - من وافقت كنيته كنية زوجته.

١٨٩ - مناقب الشُّبّان.

١٩٠ - الموافقات على شيوخ الأئمة الثقات.

١٩١ - نفي التشبيه.

كشف بمراجع

الإمام ابن عســــاكــر

١ - أبجد العلوم: صديق حسن خان القنوجي = (٢/ ٣٧٥) و (٣/ ٧٩ و ٧٩١).

٢ - ابن عساكر في ذكرى مرور تسعمائة سنة على ولادته (١ - ٢) كاملاً: المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعيَّة في سورية.

٣ - الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرِّجال والنِّساء من العرب والمستعربين والمستشرقين (١ - ٨): خير الدين الزركلي = (٤/ ٢٧٣ - ٢٧٤).

٤ - إيضاح المكنون في الذَّيل على كشف الظنون: إسماعيل باشا ابن محمد أمين الباباني البغدادي = (١/ ٢٢٤).

٥ - البداية والنهاية: للحافظ ابن كثير الدمشقي، طبعة دار الفكر في بيروت = (٨/ ٤٤٢).

٦ - البداية والنهاية: للحافظ ابن كثير الدمشقي، الطبعة المصرية = (١٢/ ٢٩٤).

٧ - تاريخ آداب اللغة العربية: جرجي زيدان = (٣/ ٧٣).

٨ - تاريخ بروكلمان = (٦/ ٦٩ - ٧٣).

٩ - تاريخ الخميس في أَحوال أنفس نفيس: حسين بن محمد الديار بكري = (٢/ ٣٦٦).

١٠ - تتمة المختصر (تاريخ ابن الوردي): عمر بن المظفر = (٢/ ١٣٢ - ١٣٣).

١١ - تذكرة الحفّاظ: الإمام شمس الدّين الذّهبي = (٤/ ١٣٢٨ - ١٣٣٤).

١٢ - جامع المسانيد: الخوارزمي = (٢/ ٥٣٩).

١٣ - خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء الشام): العماد الأصفهاني = (١/ ٢٧٤ - ٢٨٠).

١٤ - الدَّارس في تاريخ المدارس: عبد القادر النّعيمي الدّمشقي = (١/ ١٠٠ - ١٠١).

١٥ - دول الإسلام: الإمام شمس الدّين الذهبي = (٢/ ٨٥).

١٦ - الزِّيارات: محمود العدوي (من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق) = (٧٣).

١٧ - سير أعلام النبلاء: الإمام شمس الدِّين الذهبي، طبعة الدار = (١٥/ ٢٦٠).

١٨ - شذرات الذَّهب في أخبار من ذهب: أبو الفلاح عبد الحيّ بن أحمد بن محمد الصالحي المشهور بابن العماد الحنبلي، تحقيق الأستاذ محمود الأرناؤوط = (٦/ ٣٩٥ - ٣٩٩).

١٩ - شذرات الذّهب في أخبار من ذهب: أبو الفلاح عبد الحيّ بن أحمد بن محمد الصالحي المشهور بابن العماد الحنبلي، الطبعة المصرية: (٤/ ٢٣٩ - ٢٤٠).

٢٠ - طبقات الفقهاء الشّافعية: عبد الرَّحيم بن الحسن بن علي الأسنوي = (٢/ ٢١٦ - ٢١٧).

٢١ - طبقات الحفاظ: الإمام جلال الدين السيوطي = (٤٧٤ - ٤٧٥).

٢٢ - طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين أبو نصر عبد الوهّاب بن تقي الدين السبكي = (٧/ ٢١٥ - ٢٢٣).

٢٣ - العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر: ابن خلدون = (٤/ ٢١٢ - ٢١٣).

٢٤ - كتاب الرَّوضتين في أَخبار الدَّولتين: عبد الرّحمٰن بن إسماعيل أبو شامة= (١/ ١٠) و (٢/ ٢٦١).

٢٥ - كشف الظّنون عن أَسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله الشَّهير حاجي خليفة وبكاتب جلبي = (٥٤)، (٥٧)، (١٠٣)، (١٦٢)، (٢٩٤)، (٣٤٠)، (٣٤٢)، (٥٢٦)، (٥٧٤)، (٩٧٤)، (١٧٣٦)، (١٧٣٧)، (١٨٣٦).

٢٦ - كنوز الأجداد: محمد كردعلي = (٣٠٦ - ٣١٣).

٢٧ - مخطوطات المكتبة الظّاهرية (فهرس مخطوطات المكتبة الظاهرية) = (١٠٩) و (٢٢٦ - ٢٢٧).

٢٨ - مرآة الجنان: عبد الله بن أسعد اليافعي = (٣/ ٣٩٣ - ٣٩٦).

٢٩ - مرآة الزمان في تاريخ الأعيان: سبط ابن الجوزي = (٨/ ٢١٢ - ٢١٤).

٣٠ - المستفاد من تاريخ بغداد: (١٨٦ - ١٨٩).

٣١ - معجم الأدباء (إرشاد الأريب الى معرفة الأديب): ياقوت الحموي = (١٣/ ٧٣ - ٨٧).

٣٢ - معجم المطبوعات العربيّة والمعرّبة: يوسف إليان سركيس = (١٨١ - ١٨٢).

٣٣ - مفتاح السعادة ومصباح السيادة: طاش كبري زادة = (١/ ٢١٦) و (٢/ ٢١١).

٣٤ - المنتخب من مخطوطات الحديث = (٧٩ - ٨٤).

٣٥ - منتخبات التواريخ لدمشق: محمد أديب آل تقي الدِّين الحصني = (٤٧٨ - ٤٧٩).

٣٦ - المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: أبو الفرج ابن الجوزي= (١٠/ ٢٦١).

٣٧ - هدية العارفين، أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين: إسماعيل باشا البغدادي= (١: ٧٠١ - ٧٠٢).

٣٨ - وفيات الأعيان وأَنباء أبناء الزّمان: أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان = (٣/ ٣٠٩ - ٣١١).

لمّا حملت بي أُمّي،

رأَت في منامها قائلاً يقول:

تلدين غلاماً يكون له

شأنٌ.

- سير أعلام النبلاء -

من أقوال ابن عساكر

إبراهيم بن محمد أبي حصن الفزاري: أحد أئمة المسلمين وأعلام الدِّين.

تاريخ مدينة دمشق

إبراهيم بن محمد بن عبيد: أحد الجوَّالين المكثرين، خرج من دمشق قديماً وطاف البلاد.

تاريخ مدينة دمشق

ابن التّربج الدمشقي: شاعرٌ حذقٌ.

تاريخ مدينة دمشق ٦٨/ ٢١

أبو بكر الشبلي: أحد شيوخ الصُّوفية المعدودين، وزهّادهم الموصوفين.

تاريخ مدينة دمشق ٦٦/ ٥٠

أبو علي القيسراني: أَحد الفصحاء ومن صالحي شيوخ نابلس.

تاريخ مدينة دمشق ٦٧/ ٩٤

أبو نصر البرمكي: شاعرٌ محسنٌ.

تاريخ مدينة دمشق ٦٧/ ٢٦٤

أُبي بن كعب: سيِّد القراء.

تاريخ مدينة دمشق

أَحسن محمود بن زنكي بن آق سنقر إلى العلماء وأكرمهم، وقرَّب المتديّنين واحترمهم، وتوخّى العدل في الأحكام والقضايا، وألان كفَّه، وأظهر رأفته بالرِّعاية، وبنى في أكثر مملكته آدر العدل وأحضرها القضاة والفقهاء للفصل، وحضرها بنفسه في أكثر الأوقات، واستمع من المتظلّمين الدَّعاوي والبيِّنات، طلباً للإنصاف والفضل، وحرصاً على إقامة العدل.

تاريخ مدينة دمشق ٥٧/ ١٢١

أحمد بن علي[1]: أحد الأئمَّة المشهورين، والمصنِّفين المكثرين، والحفَّاظ المبرّزين، ومن خُتم به ديوان المحدّثين.

تاريخ مدينة دمشق: ٥/ ٣١

أَحمد بن الفرات: أَحد الأَئمّة الثّقات الحفّاظ الأثبات.

تاريخ مدينة دمشق

أَحمد بن محمد بن الحسن بن مرار الصُّنوبري: شاعرٌ محسنٌ، أكثر أشعاره في وصف الرِّياض والأنوار.

تاريخ مدينة دمشق

أَحمد بن محمد بن حنبل: أحدُ الأَعلام من أَئمة الإِسلام.

تاريخ مدينة دمشق

أَحمد بن محمد بن علي بن صدقة (ابن الخيّاط): خُتم به ديوان الشّعر بدمشق، وكان شاعراً مكثراً مجيداً محسناً حفظة لأَشعار المتقدمين وأَخبارهم.

تاريخ مدينة دمشق

أدرَّ محمود بن زنكي بن آق سنقر على الضُّعفاء والأيتام الصَّدقات، وتعهّد ذوي الحاجة من أولي التَّعفُّف الصِّلات، حتى وقف وقوفاً على المرضىٰ والمجانين، وأَقام لهم الأَطبّاء والمعلجين، وكذلك على جماعة العميان، ومعلِّمي الخطّ والقرآن، وعلى ساكني الحرمين، ومجاوري المسجدين.

تاريخ مدينة دمشق ٥٧/ ١٢١

أُسامة بن مرشد بن علي مؤيّد الدّولة له يدٌ بيضاء في الأدب والكتابة والشّعر.

تاريخ مدينة دمشق

إسحاق بن حسّان بن قوهي شاعرٌ متقدِّمٌ مطبوعٌ مشهورٌ.

تاريخ مدينة دمشق

---

[1] أي الخطيب البغدادي صاحب (تاريخ بغداد).

أشعر هذيل خويلد بن خالد بن مُحَرِّث (أبو ذؤيب الهذلي).

تاريخ مدينة دمشق ١٧/٣٠

أظهر محمود بن زنكي بن آق سنقر بحلب السُّنَّة حتّى أقام شعار الدِّين. وغيَّر البدعة التي كانت لهم في التّأذين، وقمع بها الرّافضة المبتدعة، ونشر فيها مذاهب أهل السُّنَّة الأربعة، وأَسقط عنهم جميع المؤن، ومنعهم من التَّوثُّب في الفتن، وبنى بها المدارس، ووقف الأوقاف، وأَظهر فيها العدل والإنصاف.

تاريخ مدينة دمشق ٥٧/١٢٠

بشر بن الحارث الحافي أحد أولياء الله الصّالحين والعبّاد السّائحين.

تاريخ مدينة دمشق

بقي بن مخلد بن يزيد: أَحد علماء الأندلس ذو رحلة واسعة.

تاريخ مدينة دمشق

ثابت بن أحمد بن أبي الفوارس (أبو نصر البوشنجي): شيخ الصُّوفيّة.

تاريخ مدينة دمشق ١١/١٠٥

ثمامة بن عديّ القرشي: أمير صنعاء، له صحبة.

تاريخ مدينة دمشق ١١/١٥٨

ثوبان بن جحدر (مولى رسول الله ﷺ): من أَهل اليمن، أَصابه سبياً فأَعتقه النَّبيّ ﷺ.

تاريخ مدينة دمشق ١١/١١٦

جمع النّاس في فضائل الشّافعي رحمه الله فأَكثروا، وفضله رحمه الله أكثر ممّا جمعوا وسطّروا.

تاريخ مدينة دمشق ٥١/٤٣٨

جميل بن تمام بن علي (أبو الحسن المقدسي): كان حافظاً للقرآن، وسمع الحديث على كبر السّنّ.

تاريخ مدينة دمشق ١١/٢٥٥

الحارث بن عبد بن وهب الأزدي: له صُحبة، وشهد يوم اليرموك، ونزل فلسطين، وشهد مع معاوية صفّين، وجعله على رجّالة فلسطين.

تاريخ مدينة دمشق ١١/٤٥٢

الحارث بن هشام بن المغيرة (أبو عبد الرَّحمٰن المخزومي): له صحبة، أَسلم يوم الفتح. ثم حَسُن إسلامه، وخرج إلى الشام مجاهداً، وحبس نفسه في الجهاد، لم يزل بالشَّام إلى أن قُتِلَ باليرموك ويُقال: مات بطاعون عمواس.

تاريخ مدينة دمشق ١١/٤٩١

حبيب بن أَوس (أبو تمّام الطائي الشاعر): من أهل قرية جاسم من حوران، مَدَح الخلفاء والأمراء فأَحسن.

تاريخ مدينة دمشق ١٢/١٦

حبيب بن حبيب بن مسلمة الفهري: وُلد بعد موت أبيه فسمِّي باسمه.

تاريخ مدينة دمشق ١٢/٣٤

حذيفة بن أُسيد أبو سَرِيحة الغفاري: صاحب رسول الله ﷺ، روى عنه أَحاديث كثيرة، وكان ممّن بايع تحت الشّجرة، وهو أوّل مشهدٍ شهده مع النّبيِّ ﷺ.

تاريخ مدينة دمشق ١٢/٢٥٣

حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية: كان جواداً ممدحاً ذا قدر ونبل، وأُمُّه أَمَ ولد.

تاريخ مدينة دمشق ١٢/٣١٠

حرب بن عبد الله بن يزيد بن معاوية: كان ممّن سار في جند أهل حمص منها إلىٰ دمشق للطّلب بدم الوليد بن يزيد فقُتِلَ بنواحي دمشق، وكان يُلَقَّب أَبا جهل.

تاريخ مدينة دمشق ١٢/٣١٣

حرملة بن المنذر بن معدي كرب (أبو زبيد الطائي): شاعرٌ مخضرم مشهور، أدرك الجاهليّة والإسلام، ولم يسلم، وكان نصرانيّاً.

تاريخ مدينة دمشق ١٢/٣٢٠

حُريث بن ردّاد الفزاري: كانت له بدمشق أَملاك وداره بنواحي سوق الغزل، وكان صاحب شرطة الوليد بن عبد الملك.

تاريخ مدينة دمشق ١٢/ ٣٢٩

حريث العذري: له صحبة، خرج مع أُسامة بن زيد إلىٰ أرض البلقاء غازياً، فقدَّمه عيناً من وادي القرى يكشف له طريقه.

تاريخ مدينة دمشق ١٢/ ٣٣٤

حريث مولىٰ معاوية بن أبي سفيان: كان فارساً بطلاً، وكان معاوية يعتمد عليه في حربه، وشهد صفِّين معه وقتل يومئذٍ.

تاريخ مدينة دمشق ١٢/ ٣٣٥

الحسن بن رجاء بن أبي الضّحّاك (أبو علي الحصاري الكاتب): أَصله من جرجرايا، شاعرٌ جيِّد الشِّعر قليله.

تاريخ مدينة دمشق ١٣/ ٨٤

الحسن بن شوذب: من متصوّفة أَهل دمشق ومن أقران أحمد بن أبي الحواري.

تاريخ مدينة دمشق ١٣/ ١١٤

الحسين بن علي بن يزيد (أبو علي النّيسابوري الصّايغ): حافظ، رحل في طلب الحديث، وطوَّف وجمع فيه.

تاريخ مدينة دمشق ١٤/ ٢٧١

حصَّل محمود بن زنكي بن آق سنقر الكثير من كتب العلوم ووقفها على طلاّبها، وأَقام عليها الحفظة من نَقَلَتها وطلاّبها وأَربابها، وجوَّد كثيراً من ذي السَّبيل، وهدىٰ بجهده إلىٰ سواء السَّبيل.

تاريخ مدينة دمشق ٥٧/ ١٢١

الحكم بن عبدل بن جبلة: شاعرٌ مشهور القول في شعره هجاء.

تاريخ مدينة دمشق ١٥/ ٢٦

الحكم بن المطلب: من أجواد قريش من أهل المدينة.

تاريخ مدينة دمشق ١٥/ ٣٧

حمزة بن بيض الحنفي: شاعرٌ مقدَّم في الشُّعراء.

تاريخ مدينة دمشق ١٥/ ١٩٢

حنظلة بن الرَّبيع بن صيفي (أبو ربعي التميمي): كاتب رسول الله ﷺ.

تاريخ مدينة دمشق ١٥/ ٣٢٢

حولا بنت بهلول: أخت مؤمنة، كانت صوفيّة.

تاريخ مدينة دمشق ٦٩/ ١١١

خالد بن زيد (أبو أيوب الأنصاري): مضيف رسول الله ﷺ وصاحبه.

تاريخ مدينة دمشق ١٦/ ٣٣

خالد بن عبد الله بن الفرج (أبو هاشم العبسي): يُعرف بخالد سَبَلان، لُقّب بذلك لعظم لحيته.

تاريخ مدينة دمشق ١٦/ ١٣٢

خالد بن المُعَمَّر بن سليمان: شهد صفّين مع علي، ثمّ غدر بالحسن بن علي ولحق بمعاوية.

تاريخ مدينة دمشق ١٦/ ٢٠٥

خالد بن الوليد بن المغيرة: سيف الله وصاحب رسول الله ﷺ في الهدنة طوعاً.

تاريخ مدينة دمشق ١٦/ ٢١٦

خداش بن بشر بن خالد (البعيث): أحد الشعراء المجيدين.

تاريخ مدينة دمشق ١٦/ ٣٢٤

خُريم بن خَنَافر الحميري: آخر الفصحاء.

تاريخ مدينة دمشق ١٦/ ٣٣٤

خويلد بن خالد بن محرث (أبو ذؤيب الهذلي): شاعرٌ مجيدٌ مخضرم.

تاريخ مدينة دمشق ١٧/ ٥٣

خيثمة بن سليمان بن حيدرة (أبو الحسن القرشي): أحد الثُّقات المكثرين الرَّحّالين في طلب الحديث.

تاريخ مدينة دمشق ١٧/ ٦٨

دعبل بن علي: شاعرٌ مشهورٌ له شعرٌ رائق.

تاريخ مدينة دمشق ١٧/ ٢٤٥

دوّاس بن سيدهم (أبو الفتيان الكناني) شاعرٌ محسنٌ.

تاريخ مدينة دمشق ١٧/ ٣١١

رابعة بنت إسماعيل: من المتعبّدات.

تاريخ مدينة دمشق ٦٩/ ١١٥

رفع محمود بن زنكي بن آق سنقر عن الحجّاج ما كان يُؤخذ منهم من المكس، وأقطع أُمراء العرب الإقطاعات لئلاً يتعرَّضوا للحجّاج بالنّحس، وأمر بإكمال سور مدينة الرَّسول ﷺ، واستخراج العين التي بأُحد- وكانت قد دفنتها السُّيول - ودُعي له بالحرمين، واشتهر صيته في الخافقين.

تاريخ مدينة دمشق ٥٧/ ١٢١

رؤبة بن العجّاج: الرَّاجز المشهور من أعراب البصرة، وهو مخضرم.

تاريخ مدينة دمشق ١٨/ ٢١٢

زمرّد بنت جاولي بن عبد الله الخاتون: كانت امرأةً محبّة للخير، مكرمة لأهل العلم.

تاريخ مدينة دمشق ٦٩/ ١٦٧

زياد بن معاوية (النابغة الذُّبياني): أحد شعراء الجاهلية المشهورين، ومن أعيان فحولهم المذكورين.

تاريخ مدينة دمشق ١٩/ ٣٢١

السّري بن المغلّس: أحد الزُّهّاد العبّاد الأتقياء.

تاريخ مدينة دمشق ٢٠/ ١٦٥

سعيد بن أبان: كان ناسكاً، ثم قام بحرب فزارة مع كلب يوم بنات قين حين صحّ عنده عن كلب ما يوجب قتلهم، وشهد عنده أنّهم لا يدينون بدين، وأنهم يطؤون الحِيّض.

تاريخ مدينة دمشق ٢١/ ٨

سلمة بن شبيب: أحد الأئمة الرّحّالين.

تاريخ مدينة دمشق ٢٢/ ٧٦

سليمان بن أحمد (أبو القاسم الطبراني): أحد الحفّاظ المكثرين والرّحّالين.

تاريخ مدينة دمشق ٢٢/ ١٦٣

سودة بنت عمارة بن الأسك الهمدانيّة: امرأة شاعرة وفدت على معاوية وجرت له معها محاورة.

تاريخ مدينة دمشق ٦٩/ ٢٢٤

سيِّد القرّاء أُبيّ بن كعب.

تاريخ مدينة دمشق

شقيق بن إبراهيم (شقيق البلخي): أحد شيوخ التَّصوُّف، له قدمٌ فيه موصوف وكلام في التّوكُّل معروف.

تاريخ مدينة دمشق ٢٣/ ١٣١

صادر بن كامل بن بدر العبسي: شاعرٌ مجيدٌ.

تاريخ مدينة دمشق ٢٣/ ٢٨٥

طُريح بن إسماعيل بن سعيد: شاعرٌ حسن الشّعر، بديع النّظم، من شعراء بني أُميّة.

تاريخ مدينة دمشق ٢٤/ ٤٦٨

عامر بن عمارة بن خُريم (أبو الهيذام المُرّي): أحد فرسان العرب المذكورين وشجعانهم المشهورين، وهو زعيم قيس في الفتنة التي وقعت بينهم وبين اليمن بدمشق

في أيّام الرَّشيد حتى تفاقم الأمر واستحكم الشر، وله أشعار في تلك الوقائع المشهورة، وأخبارٌ في الحروب مذكورة.

تاريخ مدينة دمشق ٢٦/ ٦٢

عاصم بن عمرو التّميمي: من فرسان بني تميم وشعرائهم.

تاريخ مدينة دمشق ٢٥/ ٢٨٢

عبد الأعلى بن مسهر (أبو دُرامة): شيخ الشّام في وقته.

تاريخ مدينة دمشق ٣٣/ ٤٢١

عبد الله بن أَبي زكريا إياس بن يزيد (أبو يحيىٰ الخزاعي): من فقهاء أهل دمشق، ومن أَقران مكحول.

تاريخ مدينة دمشق ٢٧/ ١١١

عبد الله بن أحمد بن موسىٰ بن زياد (أبو محمد الجواليقي): أحد الحفّاظ المجوِّدين المكثرين.

تاريخ مدينة دمشق ٢٧/ ٥١

عبد الله بن أسعد بن علي (ابن الدَّهّان): أديبٌ فاضلٌ وشاعرٌ محسنٌ.

تاريخ مدينة دمشق ٢٧/ ٨٢

عبد الله بن الحجّاج (أبو الأقرع الثعلبي): شاعرٌ شجاعٌ فاتك.

تاريخ مدينة دمشق ٢٧/ ٣٢٩

عبد الله بن رؤبة (أبو الشّعثاء المعروف بالعجّاج): راجزٌ مجيدٌ.

تاريخ مدينة دمشق ٢٨/ ١٢٨

عبد الله بن الزُّبير بن العوام: كان أول مولود في الإسلام بالمدينة من قريش.

تاريخ مدينة دمشق ٢٨/ ١٤٠

عبد الله بن زيد بن عامر (أبو قلابة): أحد الأعلام.

تاريخ مدينة دمشق ٢٨/ ٢٨٣

عبد الله بن سبأ: يُنسب إليه السَّبئية وهم الغلاة من الرَّافضة، أصله من أهل اليمن، كان يهودياً، وأظهر الإسلام وطاف بلاد المسلمين ليلفتهم عن طاعة الأئمة، ويُدخل بينهم الشرّ.

تاريخ مدينة دمشق ٣/٣٠

عبد الله بن عديّ بن عبد الله بن محمد بن المبارك (أبو أحمد الجرجاني ابن القطان): أَحد أئمة أَصحاب الحديث والمكثرين له والجامعين له، والرَّحّالين فيه.

تاريخ مدينة دمشق ٥/٣١

عبد الله بن المبارك بن واضح (أبو عبد الرَّحمٰن الحنظلي): من أئمة المسلمين.

تاريخ مدينة دمشق ٣٩٦/٣٢

عبد الله بن محمد (أبو القاسم الدمشقي): صنّف كتاب مقالات الصُّوفيّة.

تاريخ مدينة دمشق ٣٩٠/٣٢

عبد الله بن محمد (أبو محمد الخطابي النحوي الشاعر): الغالب على شعره السَّخف والألفاظ الغريبة فيه.

تاريخ مدينة دمشق ٢٩٣/٣٢

عبد الله بن محمد بن عبد الله (ابن الفقيه المؤدّب): قرأ القرآن العظيم للسّبعة على جماعة منهم: أبو الوحش سُبيع بن المسلم، وأبو عبد الله محمد بن عيسى الأندلسي بدمشق، وببغداد على أَبي الخير المبارك الغَسَّال.

تاريخ مدينة دمشق ٢٣٥/٣٢

عبد الله السَّفاح بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس: ولد بالحميمة من أرض الشّراة من ناحية البلقاء وكان بها إلىٰ أن جاءته الخلافة، وبويع له بالكوفة.

تاريخ مدينة دمشق ٢٧٦/٣٢

عبد الله بن مخارق بن سليمان (نابغة بني شيبان): شاعرٌ من شعراء الأُمويين.

تاريخ مدينة دمشق ٢٥/٣٣

عبد الله بن معاوية بن أبي سفيان: كان يُلَقَّب بمبقّت وكان مُضَعّف العقل.

تاريخ مدينة دمشق ٣٣/٢٠٨

عبد الله بن يزيد بن معاوية (أبو حرب القرشي): هو المعروف بالأُسْوار، ولُقِّب بذلك لجودة رميه.

تاريخ مدينة دمشق ٣٣/٣٨٧

عبد الرَّحمٰن بن أَرطاة: شاعرٌ مقلٌّ، كان له اختصاصٌ بآل أبي سفيان، ووفد على معاوية.

تاريخ مدينة دمشق ٣٤/١٧٨

عبد الرحمٰن بن إسماعيل المخزومي: أحد حملة القرآن ممّن كان يحضر دراسة القرآن في المسجد الجامع بدمشق.

تاريخ مدينة دمشق ٣٤/٢٠٥

عبد الرَّحمٰن بن خالد بن الوليد: كان شريفاً ممدحاً.

تاريخ مدينة دمشق ٣٤/٣٢٤

عبد الرَّحمٰن بن الضّحّاك بن قيس: من سرواتِ قريش وكرمائهم.

تاريخ مدينة دمشق ٣٤/٤٣٩

عبد الرَّحمٰن بن عامر اليحصبي: كان من حملة القرآن.

تاريخ مدينة دمشق ٣٤/٤٤٦

عبد الرّحمٰن بن عبد الله (ابن أبي الحديد): خطيب دمشق المعدَّل.

تاريخ مدينة دمشق ٣٥/٤

عبد الرَّحمٰن بن عبد الله بن الحارث (أعشى همدان): شاعرٌ فصيحٌ من أَهل الكوفة، كانت تحته أخت الشعبي الفقيه، وأخته تحت الشّعبي وكان فقيهاً قارئاً ثمّ ترك ذلك واشتغل بقول الشّعر، وقدم دمشق في صدر أيام بني أُمية.

تاريخ مدينة دمشق ٣٤/٤٧٨

عبد الرَّحمٰن بن عمرو (أبو زرعة النصري): شيخ الشام في وقته.

تاريخ مدينة دمشق ٣٥/ ١٤١

عبد الرَّحمٰن بن عمرو بن يحمد (أبو عمرو الأوزاعي): إمام أهل الشام في الحديث والفقه.

تاريخ مدينة دمشق ٣٥/ ١٤٧

عبد السَّلاّم بن رغبان بن عبد السلام (ديك الجن): شاعرٌ مطبوعٌ، له شعرٌ حسنٌ.

تاريخ مدينة دمشق ٣٦/ ٢٠١

عبد المحسن بن محمد (أبو محمد الصُّوري): مطبوع الشِّعر، سائر القول، محسنٌ في أفانين النّظم.

تاريخ مدينة دمشق ٣١/ ٤٨٢

عبد الوارث بن عبد الغني بن علي (أبو محمد المغربي): كان عالماً بعلم الكلام، بصيراً به، حسن الاعتقاد، له قدمٌ في العبادة.

تاريخ مدينة دمشق ٣٧/ ٢٩٥

عبيد بن حصين بن جندل (الراعي)، لُقّب بالرّاعي لكثرة وصفه الإبل: شاعرٌ محسنٌ مشهورٌ.

تاريخ مدينة دمشق ٣٨/ ١٨٥

عبيد بن القاسم بن صبية (الأبحر): لقبٌ غلب على اسمه، فلم يكن يعرف إلاّ بلقبه.

تاريخ مدينة دمشق ٣٨/ ٢١١

عبيد الله بن أبي بكرة (أبو حاتم الثقفي): أحد الكرام المذكورين والسّمحاء المشهورين.

تاريخ مدينة دمشق ٣٨/ ١٢٩

عبيد الله بن عبد الكريم (أبو زرعة الرّازي): أحد الأئمة الجوّالين والحفّاظ المتقنين.

تاريخ مدينة دمشق ٣٨/ ١٠

عبيد الله بن قيس (ابن قيس الرُّقيّات): من أَهل الحجاز، مشهورٌ، معروفٌ، وبالإحسان في الشِّعر موصوف.

تاريخ مدينة دمشق ٣٨/ ٨٥

عثمان بن عفّان: أمير المؤمنين ذو النُّورين، وصاحب الهجرتين، وزوج الابنتين.

تاريخ مدينة دمشق ٣٩/ ٣

عسكر بن الحصين (أبو تراب النّخشبي): أحد العبّاد السّائحين.

تاريخ مدينة دمشق ٤٠/ ٣٤٠

عطرد (أبو هارون): كان فقيهاً قارئاً للقرآن مجيداً في الغناء.

تاريخ مدينة دمشق ٤٠/ ٤٥٥

عقيل بن عُلقة بن الحارث: من أشراف بني مُرَّة ووجوههم.

تاريخ مدينة دمشق ٤١/ ٢٨

علقمة بن عقيل بن عُلقة: شاعر ابن شاعر.

تاريخ مدينة دمشق ٤١/ ١٢٨

علي بن إبراهيم بن العباس: خطيب دمشق في أَيام المصريين وقرأ القرآن العظيم بحرف أبي عمرو بن العلاء.

تاريخ مدينة دمشق ٤١/ ٢٤٤

علي بن محمد بن علي (أبو الحسن الجويني): شيخٌ شافعيٌّ من أهل الفضل والأدب فصيحٌ متوسّعٌ في الكلام نظماً ونثراً.

تاريخ مدينة دمشق ٤٣/ ٢٠١

عليم بن زنيم التيمي: كان فارساً شجاعاً، وهو الذي أخذ رأس الضّحّاك بن قيس.

تاريخ مدينة دمشق ٤١/ ٢٠٣

عمر بن الخطاب: أمير المؤمنين الفاروق، ضجيع رسول الله ﷺ، وصاحبه ووزيره.

تاريخ مدينة دمشق ٤٤/٣

عمر بن عبيد الله بن معمر (أبو حفص القرشي): أحد وجوه قريش وكرمائها.

تاريخ مدينة دمشق ٤٥/٢٨٦

عمر بن المغيرة (أبو حفص البصري): مفتي المساكين.

تاريخ مدينة دمشق ٤٥/٣٤٠

عمر بن الوليد بن عبد الملك: فحل بني مروان.

تاريخ مدينة دمشق ٤٥/٣٥٤

عمَّر محمود بن زنكي بن آق سنقر الرّبط والخانقاهات والبيمارستانات، وبنى الجسور في الطُّرق والخانات، ونصب جماعة من المعلّمين لتعليم يتامىٰ المسلمين، وأجرىٰ الأرزاق على معلّميهم وعليهم وبقدر ما يكفيهم.

وكذلك صنع لمّا ملك سنجار، وحرّان، والرّها، والرّقة، ومنبج، وشيزر، وحماه، وحمص، وبعلبك، وصرخد، وتدمر، فما من بلدٍ منها إلاّ وله فيه حسن أثر، وما من أهلها أحدٌ إلاّ نظر له أحسن نظر.

تاريخ مدينة دمشق ٥٧/١٢١

عمرة بنت النّعمان بن بشير بن سعد الأنصارية: امرأةٌ شاعرةٌ.

تاريخ مدينة دمشق ٦٩/٢٩٤

عمرو بن شييم (القطامي): شاعرٌ من فحول الشُّعراء.

تاريخ مدينة دمشق ٤٥/٩٦

عمرو بن هانىء الطائي: من شيعة بني العبّاس، وهو الذي تولّىٰ نبش قبور بني أُميّة دمشق وغيرها.

تاريخ مدينة دمشق ٤٥/٤٥٣

عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط (أبو قطيفة): شاعرٌ محسنٌ، قيل له أبو قطيفة

لكثرة شعر رأسه ولحيته شبّه بالقطيفة.

تاريخ مدينة دمشق ٤٥/٦

فاطمة بنت علي بن عبد الله بن العباس: عمّة السّفاح والمنصور، كانت امرأةً حازمةً.

تاريخ مدينة دمشق ٧٠/٩

القاسم بن سلاّم (أبو عبيد البغدادي): الفقيه الأديب المشهور، صاحب التّصانيف المشهورة والعلوم المذكورة.

تاريخ مدينة دمشق ٤٩/٨

قيس بن موسى (أبو عبد الرحمٰن الأعمى): من فقهاء أهل دمشق وأهل الفتوى بها.

تاريخ مدينة دمشق ٥٠/٧٨

قيس بن هُبيرة المكشوح: أحد شجعان العرب، أدرك النبيَّ ﷺ ولم يره، وهو ممَّن أعان على قتل الأسود الكذّاب، وشهد اليرموك، وأُصيبت عينه به.

تاريخ مدينة دمشق ٥٠/٨٠

كان محمود بن زنكي بن آق سنقر في الحرب رابط الجأش، ثابت القدم، شديد الانكماش، حسن الرَّمي بالسّهام، صليب الضَّرب عند ضيق المقام، يقدم أَصحابه عند الكره، ويحمي منهزمهم عند الفرَّة، ويتعرّض بجهده للشّهادة لما نرجو بها من كمال السَّعادة.

تاريخ مدينة دمشق ٥٧/٢٠

كان محمود بن زنكي يسأل الله أن يحشره من بطون السّباع وحوامل الطَّير، فالله يقي مهجته من الأسواء ويُحسن له الظّفر بجميع الأعداء.

تاريخ مدينة دمشق ٥٧/٢٠

كتيبة بنت الوقعة السَّعديّة: من النّسوة الشّواعر.

تاريخ مدينة دمشق ٧٠/٨٠

لمّا حملت بي أُمّي، رأت في منامها قائلاً يقول: - تلدين غلاماً يكون له شأنٌ.

سير اعلام النبلا

لمَّا عزمتُ علىٰ التَّحديث والله المطَّلع أنّي ما حملني علىٰ ذلك حبُّ الرِّياسة والتَّقدُّم بل قلت: متى أَروي كلَّ ما سمعت؟ وأيّ فائدة في كوني أخلفه صحائف؟ فاستخرتُ الله تعالىٰ، واستأذنتُ أعيان شيوخي ورؤساء البلد، وطفتُ عليهم، فكلُّهم قالوا: من أحقّ بهٰذا منك؛ فشرعت في ذلك منذ ثلاث وثلاثين وخمسمائة.

تذكرة الحفاظ

ليلى الأخيلية بنت عبد الله بن الرَّحال: امرأةٌ شاعرةٌ مقدمة في النِّساء الشَّواعر.

تاريخ مدينة دمشق ٧٠/ ٦٠

مأمون بن أحمد بن علي السُّلمي الهروي: أحد المشهورين بوضع الحديث.

تاريخ مدينة دمشق ٥٧/ ٣

مالك بن طوق بن مالك: أحد أجواد العرب وممدحيهم.

تاريخ مدينة دمشق ٥٦/ ٤٦٠

مالك بن مسمع بن شيبان: من وجوه أهل البصرة.

تاريخ مدينة دمشق ٥٦/ ٤٩٧

متوكل بن عبد الله بن نهشل (أبو جهمة الليثي): وفيٌّ، مجيدٌ في الشِّعر، عفيفٌ عن الخمر.

تاريخ مدينة دمشق ٥٧/ ١٢

مجزأة بن الكوثر بن زفر بن الحارث (أبو الورد الكلابي): من سادات قيس.

تاريخ مدينة دمشق ٥٧/ ٤٦

محمد بن إبراهيم (ابن المقرىء الأصبهاني): أحد المكثرين الرَّحَّالين والمحدِّثين المشهورين.

تاريخ مدينة دمشق ٥١/ ٢٢٠

محمد بن إدريس[1]: إمام عصره وفريد دهره.

تاريخ مدينة دمشق: ٥١/ ٢٦٧

(١) أي الإمام الشافعي رضي الله عنه.

محمد بن إسماعيل (أبو بكر الفرغاني): أحد مشايخ الصُّوفية، من أُستاذي أبي بكر الدّقي، وكان من مجتهدي أهل التَّصوُّف في العبادة، وخلو اليد من العلوم.

تاريخ مدينة دمشق ٥٢/١١٦

محمد بن إسماعيل بن مهران (أبو بكر الإسماعيلي): أَحد الثّقات الرَّحّالين.

تاريخ مدينة دمشق ٥٢/١٠٩

محمد بن جعفر بن الحسين (غندر): رحّالٌ جمّاعٌ.

تاريخ مدينة دمشق ٥٢/٢١١

محمد بن حِبّان بن أحمد (أبو حاتم التميمي البستي): أَحد الأئمة الرَّحّالين والمصنّفين المحسنين.

تاريخ مدينة دمشق ٥٢/٢٤٩

محمد بن خالد بن أبي ظبيان الأزدي: أحد حملة القرآن العظيم.

تاريخ مدينة دمشق ٥٢/٣٨٢

محمد بن سعد (أبو المنذر العامري): شاعرٌ محسنٌ.

تاريخ مدينة دمشق ٥٣/٦٧

محمد بن عبد الله (أبو عبد الله الفرغاني): من شيوخ الصوفيّة.

تاريخ مدينة دمشق ٥٤/٦٢

محمد بن عيسى بن محمد (أبو عبد الله الأنصاري): أحد حفّاظ القرآن المجوّدين.

تاريخ مدينة دمشق ٥٥/٦٩

محمد بن مانك (أبو عبد الله السّجستاني): أحد الصُّوفية الصّالحين.

تاريخ مدينة دمشق ٥٥/٢١٧

محمد بن محمد بن يعقوب بن إسماعيل (أبو الحسين النّيسابوري): أحد علماء أَهل نيسابور وثقاتهم.

تاريخ مدينة دمشق ٥٥/٢١٢

محمد بن مسلم بن عثمان بن عبد الله (ابن دارة): أحد الحفَّاظ الرَّحَّالين.

تاريخ مدينة دمشق ٥٥/٣٨٨

محمد بن المنذر بن سعيد (أبو جعفر السّلمي الهروي المعروف بشكّر): محدّثٌ مشهورٌ، صاحب رحلة وتصانيف.

تاريخ مدينة دمشق ٥٦/٣١

محمد بن نصر بن صغير (أبو عبد الله القيسراني): شاعرٌ مكثرٌ، له ديوانٌ كبيرٌ حسنٌ.

تاريخ مدينة دمشق ٥٦/١٠١

محمد بن يزيد بن محصن الأزدي: من شعراء أهل اليمن.

تاريخ مدينة دمشق ٥٦/٢٧٢

مخلد بن يزيد بن المهلّب بن أَبي صفرة (أَبو خدّاش الأزدي): أحد الأسخياء الممدوحين.

تاريخ مدينة دمشق ٥٧/١٦٥

مرثد بن سُمي الأوزاعي: من قرّاء أهل الشام.

تاريخ مدينة دمشق ٥٧/٢٠٢

مروان بن عثمان (أبو الحسن السقلي): له شعرٌ لا بأس به.

تاريخ مدينة دمشق ٥٧/٣١٢

مروان بن محمد بن مروان بن الحكم (أبو عبد الملك الأموي): المعروف بالحمار.

تاريخ مدينة دمشق ٥٧/٣١٩

مسلم بن الحجّاج بن مسلم (أبو الحسين القشيري): صاحب الصحيح، الإمام المبرز، والمصنّف المميّز، رحل وجمع، وصنّف فأوسع.

تاريخ مدينة دمشق ٥٨/٨٥

مصعب بن المثنى العبدي: من وجوه خراسان.

تاريخ مدينة دمشق ٥٨/٢٦٨

مصقلة بن هبيرة بن شبل (أبو الفضل البكري): من وجوه أهل العراق.

تاريخ مدينة دمشق ٥٨/ ٢٦٩

مطاع بن إِياس بن أبي مسلم (أبو سلمى الكناني): شاعرٌ محسنٌ.

تاريخ مدينة دمشق ٥٨/ ٢٢٧

مطاع بن المطلب القيني: من فرسان أهل الشام.

تاريخ مدينة دمشق ٥٨/ ٢٨٩

معالي بن يحيى بن خلف السُّلمي: رجلٌ متأدِّبٌ، كان يتعانىٰ علم النُّجوم، ويقول الشِّعر، ويكتب خطّاً حسناً.

تاريخ مدينة دسنق ٥٩/ ٥

معاوية بن صخر أبي سفيان: خال المؤمنين، وكاتب وحي ربِّ العالمين.

تاريخ مدينة دمشق ٥٩/ ٥٥

معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان: من فصحاء قريش.

تاريخ مدينة دمشق ٢٩/ ٢٦٠

المغيرة بن عبد الله بن معرض (الأقيشر): شاعرٌ مشهورٌ، ولد في الجاهلية، ولُقِّب بالأُقيشر لأنَّه كان أحمر الوجه.

تاريخ مدينة دمشق ٦٠/ ٦٣

مكّي بن إبراهيم بن بشير بن فرقد (أبو السكن الحنظلي التميمي): أحد الرَّحالين في طلب الحديث.

تاريخ مدينة دمشق ٦٠/ ٢٣٨

مكي بن أحمد بن سعدويه (أبو بكر البردعي): أحد المحدّثين المكثرين والرَّحّالين المخلصين.

تاريخ مدينة دمشق ٦٠/ ٢٣٦

مكّي بن عبد السلام بن الحسين (أبو القاسم الأنصاري المعروف بابن الرميلي): أحد الرَّحّالة في طلب الحديث، والمكثرين منه.

تاريخ مدينة دمشق ٦٠/٢٥٤

المهلّب بن أبي صفرة: من وجوه أهل البصرة وفرسانهم وأَجوادهم.

تاريخ مدينة دمشق ٦١/٢٨٠

مؤمنة بنت بهلول: إحدى النّسوة العابدات.

تاريخ مدينة دمشق ٧٠/١٢٨

ميمون بن مهران: فقيه أهل الجزيرة.

تاريخ مدينة دمشق ٦١/٣٣٦

نزَّهتُ نفسي عن مجلسك، فإِنَّني رأَيته كبعض مجالس السُّوقة، لا يستمع فيه إلى قائلٍ، ولا يردّ جواب متكلِّم، وقد كنّا بالأَمس نحضر مجلس نور الدِّين، فكنا كما قيل: كأَنّنا على رؤوسنا الطَّير، تعلونا الهيبة والوقار، فإِذا تكلَّم أنصتنا، وإذا تكلّمنا استمع لنا[1].

كتاب الروضتين في أخبار الدولتين

نهار بن توسعة: شاعرٌ فارس، أحد بني تيم اللات بن ثعلبة.

تاريخ مدينة دمشق ٦٢/٣٠٤

هذيل أشعر أحياء العرب.

تاريخ مدينة دمشق ١٧/٥٣

وارع بن دوالة الكلبي: شاعرٌ فارس، شهد يوم المرج مع مروان بن الحكم.

تاريخ مدينة دمشق ٦٢/٣٧٠

حضر الإمام ابن عساكر مجلس صلاح الدِّين الأيوبي لما ملك دمشق، فرأىٰ من اللُّغط فيه وسوء الأدب من الجلوس ما لا حد عليه، فشرع يحدِّث صلاح الدّين كما كان يُحدّث نور الدّين. فلم يتمكّن من القول لكثرة الاختلاف من المتحدّثين وقلة استماعهم، فقام وبقي مدَّةً لا يحضر المجلس الصلاحي، وتكرر من صلاح الدّين الطّلب له فحضر، فعاتبه صلاح الدّين على انقطاعه، فقال له هذا القول، عندها تقدَّم صلاح الدّين إلى أصحابه أنه لا يكون منهم ما جرت به عادتهم إذا حضر الحافظ ابن عساكر.

ورقة بن نوفل: كان ممن رغب عن عبادة الأوثان وسأل العلماء من أَهل الأديان عن الدِّين الحنيف.

تاريخ مدينة دمشق ٦٣/ ٣

الوليد بن حذيفة (أبو حزانة التميمي): شاعرٌ معروفٌ من بادية البصرة.

تاريخ مدينة دمشق ٦٣/ ١٢٣

الوليد بن عبيد: كان أحد الصّالحين، وكان بينه وبين ذي النُّون المصري مكاتبة.

تاريخ مدينة دمشق ٦٣/ ٢٠٥

الوليد بن عبيد بن يحيى (أبو الحسن البحتري الطائي): شاعرٌ، سائر القول، مفتن في أَنواع الشّعر، مغلق، تغني شهرته عن الإطناب في وصفه.

تاريخ مدينة دمشق ٦٣/ ١٨٨

الوليد بن عتبة (أبو العباس الأشجعي): قرأ القرآن بحرف ابن عامر على أَيُّوب بن تميم.

تاريخ مدينة دمشق ٦٣/ ٢١٤

يحيىٰ بن أكثم: قاضي القضاة.

تاريخ مدينة دمشق ٦٤/ ٦٢

يحيى بن سعيد بن عبد الله (أبو سالم البهراني الحموي): شيخٌ من أهل الفضل والأدب.

تاريخ مدينة دمشق ٦٤/ ٢٣٦

يزيد بن عاصم النُّميري: فارسٌ شاعرٌ من وجوه أصحاب محمد بن صالح بن بيهس القائم بحرب أبي العميطر، ونصرة المأمون.

تاريخ مدينة دمشق ٦٥/ ٢٥٩

من ألقاب ابن عساكر

* ثقة الدّولة
* صدر الحفاظ
* ناصرْ السُّنَّة
* جمال السُّنَّة
* الثِّقة

جميع هذه الألقاب تؤكّد مكانته وعلمه وثقة العلماء والنَّاس بحديثه وروايته.

ابن عساكر: إمام المحدّثين في وقته، من انتهت إليه الرّئاسة في الحفظ والإتقان، والمعرفة التامة، والثّقة، وبه خُتِمَ هٰذا الشّأن.

ابن عساكر: أول من أثبت هذا اللّقب ابن الجوزي، قال: علي بن الحسن بن هبة اللّه أبو القاسم الدّمشقي، المعروف بابن عساكر.

أبو القاسم: إمام المحدّثين في وقته، انتهت إليه الرِّياسة في الحفظ، والإتقان، والثّقة، والمعرفة التّامّة، وبه ختم هذا الشّأن.

أبو القاسم: حافظٌ، ثقةٌ، متقنٌ، ديِّنٌ، حسن السّمت، جمع بين معرفة المتن والإِسناد، وكان كثير العلم، غزير الفضل، صحيح القراءة، مثبتاً، رحل، وتعب، وبالغ في الطّلب، وجمع ما لم يجمعه غيره، وأربىٰ على الأقران.

أبو القاسم: كثير العلم، غزير الفضل، حافظٌ، ثقة، متقنٌ، ديِّنٌ، خَيِّرٌ، حسن السّمت، جمع بين معرفة المتون والأسانيد، صحيح القراءة، مثبتٌ محتاط، رحل وتعب وبالغ في الطّلب إلىٰ أن جمع ما لم يجمع غيره، وأَربىٰ علىٰ أقرانه.

أَحد من اشتهر ذكره، وشاع علمه، وعُرف حفظه وإتقانه.

أكثر ابن عساكر في طلب الحديث من الرّحال والأسفار، وجاز المدن والأقاليم والمدن والأمصار، وجمع من الكتب ما لم يجمعه أحدٌ من الحفّاظ نسخاً واستنساخاً، ومقابلة وتصحيح ألفاظ، وكان من أكابر سروات الدّمَاشقة، ورياسته فيهم عاليةٌ باسقةٌ،

من ذوي الأقدار والهيئات، والأَموال الجزيلة، والصِّلات والهبات.

البداية والنهاية — عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير

إمام المحدّثين في وقته، ومن انتهت إليه الرِّئاسة في الحفظ، والإِتقان، والمعرفة التامة بعلوم الحديث. والثّقة، والنّبل، وحُسن التّصنيف، والتَّجويد، وبه خُتِمَ هٰذا الشأن.

ابن النجار البغدادي

إِن عرفتَ أستاذاً أفضل منّي أو في الفضل مثلي. فحينئذٍ آذن إليك أَن تسافر إِليه، اللَّهمَّ إِلاَّ أن تسافر إلى الحافظ ابن عساكر، فإِنَّه حافظٌ كما يجب.

فقلت: من هذا الحافظ؟

فقال: حافظ الشّام أبو القاسم، يسكن دمشق .

أبو العلاء الهمداني

أنا أعلم أَنّه لا يُساجِلُ الحافظ أَبا القاسم في شأنه أحدٌ، فلو خالق النَّاسَ ومازجهم كما أصنعُ، إذاً لاجتمع عليه الموافِقُ والمخالف.

سير أعلام النبلاء — أبو العلاء الهمداني

الحافظ الكبير أبو القاسم ابن عساكر: أحد أكابر حفاظ الحديث، ومن عني به سماعاً وجمعاً وتصنيفاً واطلاعاً وحفظاً لأسانيده ومتونه.

البداية والنهاية — الحافظ ابن كثير

ساد ابن عساكر أَهل زمانه في الحديث ورجاله، وبلغ في ذلك الذّروة العليا، ومن تصفح تاريخه علم منزلة الرَّجل في الحفظ.

الإمام شمس الدين الذهبي

صنَّف ابن عساكر تاريخ الشَّام في ثمانين مجلّدة، فهي باقيةٌ بعده مخلَّدة، وقد ندر علىٰ من تقدَّمه من المؤرّخين وأتعب من يجيء بعده من المتأخّرين، فحاز فيه قصب السّبق.

الحافظ ابن كثير

قاله لبعض تلامذته وقد استأذنه أن يرحل.

صنّف ابن عساكر التاريخ الكبير لدمشق في ثمانين مجلّدة بخطه أتىٰ فيه بالعجائب.

مفتاح السعادة ومصباح السيادة   أحمد بن مصطفى (طاش كبرى زاده)

قدم علينا أبو علي بن الوزير، فقلنا: ما رأينا مثله. ثمَّ قدم علينا أبو سعدِ السّمعاني، فقلنا: ما رأينا مثله، حتى قدم علينا هذا - أي ابن عساكر - فلم نرَ مثله.

سير أعلام النبلاء   شمس الدين الذّهبي

كان ابن عساكر أحد أئمة الحديث المشهورين، والعلماء المذكورين، سمع الكثير وسافر، وصنّف تاريخاً لدمشق، وصنَّف كتباً كثيرةً، وكان إماماً في الفنون، فقيهاً، مُحدِّثاً، حافظاً، مؤرّخاً.

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة   يوسف بن تعري بردي

كان ابن عساكر حجّةً، ثقةً، نبيلاً .

المستفاد من ذيل تاريخ بغداد   ابن النجار البغدادي

كان أبو القاسم بن أَبي محمد من أهل دمشق، كثير العلم، غزير الفضل، حافظاً، متقناً، ثقةً، ديِّناً، خيِّراً، حسن السَّمت، جمع بين معرفة المتون والأسانيد، مثبتاً، محتاطاً.

خريدة القصر وجريدة العصر   الإمام السَّمعاني

كان حسن الكلام علىٰ الأَحاديث، محظوظاً في الجمع والتّآليف.

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان   أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خُلكان

كان الغيث قد احتبس في هٰذه السَّنة، فدرَّ وسحَّ عند ارتفاع نفسه، فكأَنَّ السَّماء بكت عليه بدمعٍ وبلِّه وطشِّه.

معجم الأدباء   ياقوت الحموي

كان فَهيماً حافظاً متقناً ذكيًا بصيراً، لا يُلْحَقُ شأوه، ولا يُشَقُّ غُبارُهُ، ولا كان له نظيرٌ في زمانه.

سير أعلام النبلاء   الإمام شمس الدِّين الذّهبي

كان كثير التَّعصُّب لأبي الحسن الأشعريّ حتَّى صنَّف كتاباً سماه: (كذب المفتري على أبي الحسن الأشعري)[1].

مرآة الزمان سبط ابن الجوزي يوسف بن قز أغلى

كان كثير النَّوافل والأَذكار، يُحيي ليلة النّصف والعيدين بالصَّلاة والتَّسبيح، ويُحاسب نفسه علىٰ لحظة تذهَبُ في غير طاعةٍ.

سير أعلام النبلاء القاسم ابن عساكر

كان محدِّث الشَّام في وقته، ومن أعيان الفقهاء الشَّافعيَّة، غلب عليه الحديث فاشتهر به، وبالغ في طلبه إلىٰ أن جمع منه ما لم يتَّفق لغيره.

وفيات الأَعيان وأنباء أبناء الزَّمان أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان

كان مواظباً علىٰ صلاة الجماعة، وتلاوة القرآن، يختمُ كلَّ جمعةٍ، ويختم في رمضان كلَّ يومٍ، ويعتكف في المنارة الشَّرقيَّة.

سير أعلام النبلاء القاسم ابن عساكر

لابن عساكر شعرٌ حسنٌ يُمليه عقيب كثير من مجالسه، وكان فيه انجماعٌ عن النَّاسِ، وخيرٌ، وتركٌ للشَّهادات علىٰ الحكّام، وهٰذه الرّعونات.

سير أعلام النبلاء الإمام شمس الدّين الذهبي

لم أَر مثله، ولا من اجتمع فيه من لزوم طريقةٍ واحدةٍ مدَّة أَربعين سنة، من لزوم الصَّلوات في الصَّفِّ الأوّل إِلاَّ من عُذرٍ، والاعتكاف في شهر رمضان وعشر ذي الحجّة، وعدم التَّطلُّع إلىٰ تحصيل الأملاك، وبناء الدُّور، قد أسقط ذلك عن نفسه، وأَعرض عن طلب المناصب من الإمامة والخطابة، وأَباها بعد أَن عُرضت عليه، وأَخذ

---

[1] أبو الحسن الأشعري: هو علي بن إسماعيل بن إسحاق، أبو الحسن من نسل الصَّحابي أَبي موسىٰ الأشعري، مؤسّس مذهب الأشاعرة، كان من الأئمة المتكلمين المجتهدين.

ولد أبو الحسن الأشعري في البصرة سنة ٢٦٠ هـ الموافق ٨٧٤م وتلقى مذهب المعتزلة، وتقدَّم فيهم، ثمَّ رجع وجاهر بخلافهم، وتوفي في بغداد سنة ٣٢٤ هـ الموافق ٩٣٦م.

قيل: بلغت مصنّفاته ثلاثمائة كتاب منها: إمامة الصّديق، والرَّدُّ على المجسّمة، ومقالات الإسلاميين، والإبانة عن أُصول الدّيانة، ومقالات الملحدين، والرَّد على ابن الراوندي، وغيرها.

نفسه بالأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، لا تأخذه في الله لومة لائمٍ.

تذكرة الحفاظ — أبو المواهب بن صصرى

ما أظنُّ هذا الرَّجل إلاَّ عزم على وضع هٰذا التَّاريخ من يوم عقل علىٰ نفسه وشرع في الجمع من ذلك الوقت، وإلاَّ فالعمر يقصر عن أن يجمع الإنسان فيه مثل هذا الكتاب بعد الاشتغال والتَّنبُّه.

الوافي بالوفيات — زكي الدين أبو محمد عبد العظيم المنذري

ما رأيتُ أَحفظ من ابن عساكر.

تذكرة الحفاظ — الحافظ عبد القادر

ما رأَيتُ في سنِّ ابن عساكر مثله.

تذكرة الحفاظ — سعد الخير

ما رأيتُ في سِنِّ أبي القاسم الحافظ مثله.

سير أعلام النبلاء — شمس الدين الذهبي

ما كان يُسمَّى أبو القاسم ببغداد إِلاَّ شُعلة نارٍ من توقُّده، وذكائه، وحُسن إِدراكه.

سير أعلام النبلاء — أبو العلاء الهمداني

ما كنّا نُسَمِّي الشَّيخ أَبا القاسم ببغداد إِلاَّ شعلة نارٍ من توقّده وذكائه وحُسن إِدراكه.

معجم الأدباء — الحسن بن أحمد العطار

ما نعلم من يستحقُّ هٰذا اللَّقب اليوم - يعني الحافظ - ويكون حقيقاً به سواه.

سير أعلام النبلاء — أبو الفضل بن أبي نصر الطوسي

من نظر في تاريخ الشام وتأمَّله رأىٰ ما وصفه فيه وأَصله، وحكم بأَنَّه فريد دهره في التَّواريخ، وأَنَّه الذّروة العليا من الشَّماريخ.

البداية والنهاية — الحافظ ابن كثير

هو الحافظ الذي تفرَّد بعلم الحديث، والاعتقاد الصحيح، المنزَّه عن التَّشبيه، المحلَّىٰ بالتّنزيه، المتوحِّد بالتَّوحيد، المظهر شعار الأَشعريّ بالحدِّ الحديد، والجدّ

الجديد، والأبي الشَّديد.

خريدة القصر وجريدة العصر — العماد الأصبهاني الكاتب

هو حافظ الشّام، بل حافظ الدُّنيا، الإمام مطلقاً، الثِّقة، الثّبت.

طبقات الشافعية للسبكي — زكي الدين النووي

هو حافظٌ متقنٌ جمع بين معرفة المتون والأسانيد، ورحل في طلب الحديث، وجمع ما لم يجمعه غيره.

الدارس في تاريخ المدارس — عبد القادر بن محمد النعيمي

هو الشيخ الإمام، ناصر السُّنَّة وخادمها، وقامع جند الشَّيطان بعساكر اجتهاده وهادمها، إمام أَهل الحديث في زمانه، وختام الجهابذة الحفّاظ، ولا ينكر أَحدٌ منه مكانة مكانه، محط رحال الطالبين، وموئل ذوي الهمم من الرَّاغبين، الواحد الذي أجمعت الأُمَّة عليه، والواصل إِلى ما لم تطمح الآمال إليه، والبحر الذي لا ساحل له، والحِبر الذي حمل أعباء السُّنَّة كاهله، قطع اللَّيل والنَّهار دائبين في دأبه، وجمع نفسه على أشتات العلوم، لا يتّخذ غير العلم والعمل صاحبين وهما منتهى إربه، حفظٌ لا تغيب عنه شاردة، وضبطٌ استوت لديه الطريقة والتّالدة، وإتقانٌ ساوى به من سبقه إن لم يكن فاقه، وسعة علم أَثرىٰ بها، وترك النَّاس كلّهم بين يديه ذوي فاقة.

طبقات الشافعية الكبرى — الإمام تاج الدين السبكي

حـوارات

* حَدَّث التّاج محمد بن عبد الرّحمٰن المسعودي قال:

- قال لي أبو العلاء يوماً:

- أيُّ شيءٍ فُتح له، وكيف ترىٰ النّاس له؟

قلت: هو بعيدٌ من هٰذا كلّه، لم يشتغل منذ أربعين سنة إلاّ بالجمع والتّصنيف والتّسميع حتّى في نُزَهِهِ وخَلَواته.

فقال: الحمد لله، هذا ثمرة العلم، أَلاَ إنّا قد حصل لنا هٰذه الدّار والكتب والمسجد، هٰذا يدلُّ على قلة حظوظ أَهل العلم في بلادكم[١].

* روى زين الأُمناء قال:

حدَّثنا ابن القزويني عن والده مدرِّس النّظامية قال:

- حكى لي الفراوي قال:

- قدم علينا ابن عساكر، فقرأ عليّ في ثلاثة أيّام فأكثر، فأَضجرني، وآليتُ أن أُغْلِقَ بابي وأمتنع، جرىٰ هٰذا الخاطر لي باللّيل.

فقدم من الغد شخصٌ فقال:

- أنا رسول رسول الله ﷺ إليك، رأيتُهُ في النّوم، فقال: امضِ إلىٰ الفراوي، وقُل له: إن قَدِمَ بلدكم رجلٌ من أَهل الشّام أسمر يطلب حديثي، فلا يأخُذْكَ منه ضجرٌ ولا مللٌ.

قال: فما كان الفراوي يقوم حتى يقومَ الحافظ أَوّلاً[٢].

- قال أبو المواهب:

كنت أَذاكره في خلواته عن الحفّاظ الذين لقيهم فقال:

(١) سير أعلام النبلاء: (١٥/٢٥٨).

(٢) سير أعلام النبلاء: (١٥/٢٥٨).

- أمّا ببغداد، فأبو عامر العبدريّ، وأمّا بأصبهان، فأبو نصر اليونارتي، لكن [إ]سماعيل الحافظ كان أشهر منه.

فقلت له: فعلى هٰذا ما رأىٰ سيدنا مثل نفسه؟

فقال: لا تقل هٰذا، قال الله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ﴾[١].

قلت: فقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴿١١﴾﴾[٢].

فقال: نعم... لو قال قائلٌ: إنَّ عيني لم تر مثلي لصدق[٣].

* قال الحافظ عليّ بن محمد:

- سمعتُ الحافظ أبا محمد المنذري يقول:

سألتُ شيخنا أبا الحسن عليّ بن المفضل الحافظ عن أربعة تعاصروا.

فقال: من هم؟

قلت: الحافظ ابن عساكر، والحافظ ابن ناصر.

فقال: ابن عساكر أحفظ.

قلتُ: ابن عساكر، وأبو موسىٰ المديني؟

قال: ابن عساكر.

قلتُ: ابن عساكر وأبو طاهر السِّلفي؛

فقال: السِّلفيُّ شيخنا، السِّلفيُّ شيخنا[٤].

---

(١) سورة النجم؛ الآية: (٣٢).

(٢) سورة الضحى، الآية: (١١).

(٣) سير أعلام النبلاء: (١٥/ ٢٥٩).

(٤) سير أعلام النبلاء: (١٥/ ٢٦٠). قال الذهبي: لوّح بأنّ ابن عساكر أحفظ، ولكن تأدّب مع شيخه.

ابن عســـاكر
في الشِّعر العربي

وَأكْمَلَ تَارِيخاً لِجِلِّقَ جَامِعاً
لِمَنْ حَلَّهَا مِنْ كُلِّ شَهْمٍ وَكَامِلِ

فَأَزْرَىٰ بِتَارِيخِ الخَطِيبِ وَقَدْ غَدَا
بِخُطْبَتِهِ فِي الكُتْبِ أَخْطَبَ قَائِلِ

الحسين بن عبد الله بن رواحة

(١) عليك السّلام

١ - أيُّ ركــنٍ وهــىٰ مــنَ الــعــلــمــاءِ
أيُّ نــجــمٍ هَــوَىٰ مــنَ الــعَــلْــيَــاءِ

٢ - إنَّ رزْءَ الإِسـلامِ بـالـحـافـظِ الـعَـا
لِــم أمــســىٰ مِــنْ أَعْــظَــمِ الأَرزاءِ

٣ - أقْــفَــرَتْ بَــعْــدَهُ رُبُــوعُ الأَحَــا
ديــثِ وأَقــوتْ مــعــالــمُ الأنــبــاءِ

٤ - أَيُّـهَـا الـمُـبْـتَـغي لـه الدَّهر مَـثَـلاً
أَتــرجــي تــعــانــق الــعَــنْــقَــاءِ

٥ - كـانَ نـاديـه كـالـرِّيـاضِ إذا مَـا
ضـحـكَ الـنُّـور عـن بـكـا الأَنْـداءِ

٦ - كـان حـبـراً يـقـري مَـسَـامِـعَـنـا مِـنْ
أَســودِ الــحِــبــرِ أَبــيــض الآلاَءِ

٧ - كـانَ بـحـراً مَـنْ عَـامَ فـيـهِ حـبـاهُ
بــالــلآلــي الأَنــيــقَــةِ الــلألاءِ

٨ - كـان مـن أعـلـمِ الأنـامِ بـأَسْـمَـا
ءِ رِجَـالِ الـحـديـثِ وَالـعُـلَـمَـاءِ

٩ - فـهـيَ من بعد في الـمهـارقِ كـالأَفـ
ـغَـالِ إذ عـريـت مـنَ الأَسْـمَـاءِ

١٠ - كـانَ مِـنْ وَصْـمَـةِ التَّـغـيير والتَّصـ
ـحـيـفِ أَمـنـاً لـخـائِـطِ الـعَـشْـواءِ

١١ - كـانَ فـي ديـنِـهِ قَـويّـاً قَـويـمـاً
ثــابــتــاً فــي الــضَّــرّاءِ والــسَّــرَّاءِ

١٢ - كَانَ عَلاَّمةً ونَسَّابةً لَمْ
يخفِ عنهُ شيءٌ مِنَ الأَشياءِ

١٣ - يا لَهَا مِنْ مُصِيبَةٍ صَمَّاء
لَمْ يحذ سهمها عن الأَضماءِ

١٤ - هَدَمَتْ ذَرْوَةَ المعالي ووارث
جسدَ المجدِ في ثرىٰ الغَبراءِ

١٥ - قد أرانا سريرهُ كيف كانَتْ
قبل تجلى أُسرة الأَنبياء

١٦ - سيِّرت نعشَه الملوكُ وأمْلا
كُ السَّمٰوات بالبكاءِ والدُّعاءِ

١٧ - وامترىٰ حزنهُ مدامع أَهلِ الـ
أَرْضِ حتَّىٰ جرت دموعُ السَّماءِ

١٨ - حسبُهُ أَنَّه به اسْتَسْقىٰ الغَيْـ
ـث فجادتْ بهِ يَدُ الأَنواءِ

١٩ - نَعَشَ اللَّهُ نعشَهُ وسَقَاهُ
رحمة بالغَمَامَةِ الوَطْفَاءِ

٢٠ - قدْ وددنا أَنَّ العيونَ استهلت
عوضَ الدَّمعِ بعدَهُ بالدِّماءِ

٢١ - ولتلكَ الدُّموعِ كانت نجيعاً
قصرتْهُ حرارةُ الأَحشاءِ

٢٢ - ولقد قرَّت الأَعادي عيوناً
طالما أَغضيت علىٰ الأَقذاءِ

٢٣ - كم به جرع العَدُوُّ ذُعافاً
من أَفاويقِ البُؤسِ والبَأسَاءِ

٢٤ - لم يزل يرغم العدوّ ويَسْعَىٰ
رافِلاً في مطارفِ النّعماءِ

٢٥ - من يكنْ شامتاً فللموتِ بأْسٌ
ليسَ يُثنىٰ بالعزّة القَعْسَاءِ

٢٦ - وله وثبةٌ تدلُّ لها أُسـ
ـدُ الشَّرَىٰ والجيوشُ في الهَيْجَاءِ

٢٧ - مَنْ يمتْ فليستْ ممات أَبي القا
سِمِ عن عِفَّةٍ وطيبِ ثناءِ

٢٨ - كَمْ حوىٰ لَحْدُهُ مِنَ العِلمِ والحلـ
ـمِ وكَمْ ضَمَّ من سَناً وسَنَاءِ

٢٩ - إنْ يكُنْ في الموتىٰ بعد فَقْد خلَّـ
ـفَ عِلماً أَبقاهُ في الأَحياءِ

٣٠ - مودع في سَوادِ كلِّ فؤادِ
بتصانيفِهِ بياضَ ولاءِ

٣١ - وإلَيْهِ تنمى بنوه وطيب
الأَصلِ مستأزر بطيب الجناءِ

٣٢ - كم يا بني عساكر بيت
سامق في ذرىٰ العلىٰ والعلاءِ

٣٣ - لم يزل مُنجباً أبوكم فما بشْـ
ـرٌ إلاَّ بالسَّادَةِ النُّجباءِ

٣٤ - ولكُمْ في الأَنامِ صيتٌ رفيعٌ
مُشْرِفٌ فوقَ قمَّةِ الجَوْزَاءِ

٣٥ - فتعزّوا عنهُ بصبرٍ وإن كا
نَ مضىٰ باصطبارنا والعزاءِ

٣٦ - نحنُ نبكي عليهِ حُزْناً وكَمْ قَدْ
صافَحَتْهُ في اللّحْدِ مِنْ حَوراء

٣٧ - يا أَبا عذر كلُّ معنىٰ دقيق
جلَّ قدراً كالدُّرَّةِ العَذْراء

٣٨ - صَبَرْنَا يابنَ بجدة العلم أمسىٰ
عنك مستصعباً شديد الإباءِ

٣٩ - علماءُ البلادِ حَلَّت حَبَاهَا
لكَ يا من عمَّ الورىٰ بالحياءِ

٤٠ - ما عسىٰ أَن نَقولَ فيكَ وقد فا
تت أَياديكَ جُملة الإحصاءِ

٤١ - أنتَ أَعلىٰ من أَن تحدَّ بوصفٍ
بَلَغَتْهُ بَلاَغَةُ البُلَغَاءِ

٤٢ - أنتَ أَولىٰ بأَن ترثيك حتّىٰ
يبعثَ الخلق أَلسن الشُّعراءِ

٤٣ - فعليكَ السَّلام ما لاحَ وجْهُ الـ
صُبْحِ من تحت طرَّةٍ سوداءِ

٤٤ - وسقىٰ التُّربةَ التي غبتَ فيها
كلّ جونٍ وديمةٍ هطلاءِ

فتيان بن علي الأسدي

(٢) أنا وابن عساكر في نزهةٍ دمشقيَّة

١ - قد تأنَّى حبِّي فأرسلَ سرِّي
هامساً أنْ أَفِقْ لِغَمْزَةِ فَجرِ

٢ - يخجلُ الموتُ أن تموتَ ودفقٌ
من عطاياكَ فوقَ قبرِكَ يجري

٣ - كُتُبٌ منكَ في قوامِ دمشقٍ
نُصِبَتْ فوقَها منارةُ سِحْرِ

٤ - قد عصرتَ الظَّلامَ تلهثُ حرفاً
إثْرَ حرفٍ علىٰ مجامرِ صَبْرِ

٥ - وعلىٰ الصَّبر منكَ مرَّتْ ليالٍ
لهَثَتْ تشتكي ضراوةَ جبْرِ

٦ - لَنْ يُضيمَ السِّنين إلاّ اصْطِبَارٌ
مورقُ العزِّ فوقَ صهوة سَطْرِ

٧ - ورقٌ يُنْبِتُ العقولَ كساءً
لِزمانٍ يذوقُ ظُلْمَ التَّعَرِّي

٨ - هَوْ يَومي لابنِ العسَاكِرِ أن يكسـ
ـوهُ ثَوباً مِنْ نَسْجِ قلبٍ وفِكْرِ

٩ - والزَّمَانُ العاري يمرُّ على المبـ
ـدع حرفاً كي يَكْتَسي مجدَ سترِ

١٠ - وصَحَارىٰ كلُّ المروجِ إذا لم
تَتَزَيَّنْ يَوماً بِفِكْرٍ أَغَرّْ

١١ - للسُّهولِ الأغصان فيءٌ ولكن
للعُقولِ الأَقلامُ أغصان جمرِ

١٢ - ويـراعٌ يـا ابـنَ الـعـسـاكِـرِ غـابٌ
لــم يُــفــارقْــهُ مــرَّةً وجــهَ بَــذْرِ
١٣ - الـحـضـاراتُ والـيَـرَاعُ عَـصَـاهَـا
لَيْسَ تـشـكُـو فـي الـسَّـيـر حـدبـة ظَـهْـرِ
١٤ - فَـلْـتُـسَـلَّ الأَقـلامُ أسـيـافَ نـورِ
لـرقـابِ الـجَـهْـلِ اسـتـنـارتْ بِـبَـثْـرِ
١٥ - أُمَّتي يـا ابـنـة الـمـحـابِـرِ فـاضَـتْ
مـنْ سَـنَـاهَـا جَـداول الـحـبـرِ تـجـري
١٦ - كم تَزَيَّنْتِ من حُلَىٰ للحضاراتِ
وأبْـدَعْـتِ مـن حُـلَـىً مـنـكِ تُـغـري
١٧ - إنْ تَغَشَّىٰ الرَّمادُ جمرتك الكبـ
ـرىٰ فخافي اللَّهيب بالشَّمْسِ يُزري
١٨ - أيـقـظـيـهِ فـابـن الـعـسـاكـرِ لـم يَـهْـ
ـمـدْ فـؤاداً وكُـتْـبـه خـفـق قَـبـرِ
١٩ - الكتابُ الوعاءُ للفِكْرِ والقبرُ و
عـاءٌ لـلـجـسـمِ فـالـفِـكـر عُـمـري
٢٠ - ومـحـالٌ يـا ابـن الـعـسـاكـرِ أن تـثـ
ـوِي ومـنـكَ الـتَّـاريـخ بـوقٌ لـحـشْـرِ
٢١ - قـمْ تَـنَـقَّلْ معـي ذراعـيـن وجـ
ـهـيـن وصـدراً يـحـنُّ شـوقـاً لِـصَـدْرِ
٢٢ - طيفُكَ انْسَابَ في عُروقِ دمشقٍ
فـالـزَّوايـا مِـنـهـا انـتـفـاضـة ذِكْـرِ
٢٣ - والدَّوالي علىٰ العرائشِ سَكْرىٰ
كـلـمـاتٍ نَـمْـنَـمـتْـهـا عـقـد سـحـرِ

٢٤ - والزّقاقُ المنفضُّ من بابِ توما
لَمْ يزلْ يَجْتَذِبْكَ بسمة ثَغْرِ

٢٥ - والحميديَّةُ الظَّليلَةُ تَهْفُو
لخطىً منكَ في التَّنقُّل زُهْرِ

٢٦ - رعشتْ مكتباتُهَا راجياتٍ
لمسةً مِنْ بَنَانِكَ المُتَحَرِّي

٢٧ - كُتُبُها البيضُ لم تزلْ غارفاتٍ
منْ سنىً كتبكِ الغزار الصُّفْرِ

٢٨ - والأَفاويهُ والطُّيُوبُ وخيطٌ
منْ حريرٍ يَخبُوكَ رَعْشَةَ بشرِ

٢٩ - كُلُّ رُكْنٍ في جِلَق كلُّ مغنىً
ذاكرٌ منك برق زيّ نضرِ

٣٠ - وائتلاقاً وزهوةً وصَفاءً
وسخاءً على امتناعٍ وكبرِ

٣١ - وسطوعٌ للعِطْرِ الذي أَنْعَمَ الجا .
معَ نَشراً ولم يزلْ نهبَ نَشْرِ

٣٢ - حلقاتُ التَّدريسِ فيه نشاوىٰ
من كؤوسِ العطاءِ تُغْني وتُثري

٣٣ - قد تبقىٰ الكلام منك علوقاً
بسقوفٍ منهُ تُضيء وجدرِ

٣٤ - نقشة القولِ في الضَّمائرِ أَبْقَىٰ
من نُقوشٍ يَسخو بها فنّ حفرِ

٣٥ - وعلىٰ ظِلَّةِ من الأُمويّ الرّ
حْبِ دارٌ سَمَتْ جَليلة قَدْرِ

٣٦ - إذ صلاح الدِّينِ اشتغالٌ على
السَّيفِ وشوقٌ لمجلسٍ منكَ ثَرٌ
٣٧ - والحسامُ الرَّهيفُ والقولُ خِلاً
ن وكلٌّ على مهاويهِ يفري
٣٨ - طبتَ ملقىً عقدته وصلاح الدِّ
ينِ والليل يشتهي زفَّ فجرِ
٣٩ - إنْ تفارقتما يهزُّ حساماً
وتهزُّ اليراعَ في صدرِ غمْرِ
٤٠ - لمعة السَّيفِ واليَرَاعِ سواءٌ
بين برقعيها تدفقُ عمِر
٤١ - فإذا استَضعفا تَجَسَّد عمرٌ
كان يجري على أضالع خُضْرِ
٤٢ - ما اندحارُ العدىٰ أمامَ صلاحٍ
غيرُ إيناع حدِّ سيفٍ وفِكْرِ
٤٣ - فاضطَحبني يا ابن العساكر هٰذي
جلّق لهفة وحرقة صبرِ
٤٤ - بردىٰ قدْ تغيَّرت ضِفَّتَاهُ
وغَدَا ماؤُهُ انتفاضة جَمْرِ
٤٥ - ما عراه همست هل عاد غزوٌ
من جديدٍ يهيجُ داري ويُضري
٤٦ - أين منها العربُ الأباة أتبكي
أنهرٌ والدَّم الضَّحوك كجسرِ
٤٧ - موّجوه علىٰ الرُّبوعِ علىٰ الشّط
آنِ شدُّوا في كُلِّ شهقةِ نَهرِ

٤٨ - موّجوه كما ألفناه يغسلُ

جبهة العربِ في تدفّق ثأرِ

٤٩ - ليس يذوي ورد الحمىٰ مُستظلاً

بجراحٍ تَشقيهِ يوم المكْسرِ

٥٠ - وردةٌ طلُّها دمٌ تَتَحَدَّىٰ

في خبيثِ القطافِ أنمل شَرِّ

٥١ - فلْيُحَلِّق سربُ الكرامةِ في العـ

ربِ فعهدي بها انطلاقة نسرِ

٥٢ - وصلاحٌ حسامه أبديٌّ

إنْ جَلَتْهُ بالصِّدْقِ راحة حُرِّ

٥٣ - ثقةُ الدِّين لست أخبىء عنكم

منتهىٰ خبرتي وخالص خبري

٥٤ - لَنْ تُصَلُّوا في القدسِ ركعةَ عزٍّ

إن تردَّتْ جِباهُكُم صِبغَ خُسْرِ

٥٥ - لن تُصلُّوا فيها وأَنتم ضِياعٌ .

بين مبكىٰ قطرِ وضحكة قطرِ

٥٦ - من محيطٍ إلىٰ خليجٍ مناقير

نسورٍ فجرِّدوها لِنَقْرِ

٥٧ - تفقأوا مقلتي عدوّ فيعمىٰ

عن مراميهِ مِنْ ضَلالٍ ونُكرِ

٥٨ - هل هَبَبْتُم عَلَيْهِ هبَّةَ ريحٍ

صَرصرٍ لا تسفّ إلاَّ لتذري

٥٩ - راعي منكم هُويٌّ عن الفرّ

لذُلٍّ قد شاءهُ حُكْمُ مصرِ

٦٠ - يـا نـواح الأهـرامِ هـامٌ تـسـامَـتْ

ثـــمَّ أهـــوتْ إلـــىٰ مـــآتـــمِ قَـــغـــرِ

٦١ - يا دموع النِّيلِ الحزينِ استحيلي

لـلّـهـيـبِ فـي دفْـقِـهِ مُـسْـتَـسَـرّْ

٦٢ - إنَّ نـيـلاً سـقـىٰ صـلاحـاً لـيـأبـىٰ

مـن مـصـبٍّ إلاَّ بُـحـيـرة نَـضْـرِ

٦٣ - إن بـزغـتـمْ بـهِ أضـيـف عـلـى الـتَّـا

ريـخِ عـقـداً يـزهـو بـه جِـيـد سـفـري

٦٤ - أو عـثـرتـمْ ولـن أطـيـقَ فـعـذراً

إن تـواريـتُ مـؤثـراً تـرب قـبـري

٦٥ - وتـوارىٰ الـطَّـيـفُ الـحـبـيـبُ وأبـقـا

نـي وحـيـداً عـلـىٰ شـواطـىء شِـعـري

٦٦ - وأمـامـي مـن كـتـبـه الـغُـرِّ بـحـرٌ

قـد رَسَـتْ فـيـه سـفـنُ عـزٍّ ومَـخْـرِ

٦٧ - وبـقـايـا خُـطـاه فـوقَ تُـرابٍ

عـربـيٍّ كـم جـازَهُ دون حـجـرِ

(٣) ابن عساكر المؤرّخ العالم

١ - عمرُ الرِّجال يُقاسُ بالأَفعالِ
لا في سنين تصرَّمَتْ وليالِ
٢ - طولُ الحياةِ لخاملٍ مُتَخَلِّفٍ
في قومه لا يُستساغ بحالِ
٣ - ولربَّ موتٌ كان أرحم لامرىءٍ
من عيشةٍ في غمرةِ الإهمال
٤ - يا صاحبَ التَّاريخ تنفح بالشَّذا
صفحاتُهُ وبكلِّ عُرفٍ غالِ
٥ - حقَّقْتَ شيئاً معجزاً عن مثله
جهد المجد ولم يفز بمنالِ
٦ - تاريخ (جلَّق) معجزٌ في بابه
وسماكُهُ خطر المزلَّة عالِ
٧ - أوردتَ أَخبارَ الجهابذة الأولىٰ
من زار (جلَّق) في الزَّمانِ الخالي
٨ - وسطرت عنهم ما يشوق سماعه
من محكم الأَقوال والأَعمالِ
٩ - يحلو بيانكَ كالنَّشيد عذوبة
من ساجعٍ في فحمة الآصالِ
١٠ - تتفتَّح الأَلفاظ عن متألّق
وكأنَّها في العين سمط لآلي
١١ - لم ترضَ نثراً كُبِّلتْ أَلفاظُه
بالسَّجع كالمَصْفُودِ بالأَغلالِ

١٢ - بلْ رمته نثراً همتُ ألفاظه
مِن غيرِ ما كَدَرٍ كماءِ زلالِ
١٣ - ما ثمَّ من سجعٍ ومن مُتَكَلّفٍ
فيما قَصَصْتَ لنا من الأَقوالِ
١٤ - إنْ لَمْ يكنْ طبعٌ أصيلٌ حافزاً
للمرءِ كان بيانه لزوالِ
١٥ - كنتَ الدِّمشقيَّ الأَصيلَ فؤاده
في حبِّه للأرضِ عن إِجلالِ
١٦ - قدّمتَ شيئاً لم يقدّم مثله
في سابقٍ بطلٍ من الأَبطالِ
١٧ - عشرون عاماً في الجهاد سلختها
بحثاً، وتنقيباً، وشَدَّ رِحالِ
١٨ - وسلختَ عشراً غيرها مثبتاً
دون النُّصوص ودون كلِّ مقالِ
١٩ - وجمعت كلَّ مُشَتَّتٍ ومفرَّقٍ
من نادر الأَخبار والأَقوالِ
٢٠ - حتىٰ أتيتَ بمعجزٍ مُتألِّقٍ
غبر العُصورِ يشعُّ مثلَ هلال
٢١ - سعيٌ علىٰ الأَيَّام ما لجماحه
من مثبطٍ في الحلِّ والتّرحالِ
٢٢ - تطوي الفضاء مشرقاً ومغرباً
طلباً لعلمٍ لا بجمع المالِ
٢٣ - يشقى على قدر المعارف عالمٌ
ويغصُّ بالأعار والامحالِ

٢٤ - والجاهلون توافرتْ أزوادهم
في عيشهم من رفرفٍ وظلالِ
٢٥ - آثرت أَن تشقىٰ لتحيا عالماً
عن أن تعيش بظُلمةِ الجُهَّالِ
٢٦ - ما أشبه العلماء بالرُّسل الأُولىٰ
في بذل مكرمةٍ ونبلِ خصالِ
٢٧ - في مثلهم زهتِ الحياةُ وأَزهرتْ
عن نيِّرٍ من مشرقِ الآمالِ
٢٨ - وبهم غَدَت سُبلُ الحياةِ منيرة
للمدلجين وراء كلِّ ضلالِ
٢٩ - هُمّ حَمَّلوا الدُّنيا وأعلوا شَأْنها
بقرائِحِ من صوبها السَّلْسالِ
٣٠ - وبكَ الشَّآم علىٰ رصينِ جلالها
وعلوّها حيطتْ برُكنِ جلالِ
٣١ - عاصرتَ ضرغامين ما لشبيهما
شبلٌ علىٰ ما قام من أَشبالِ
٣٢ - ما مثل نور الدِّين ليثٌ خادرٌ
في كشفِ جائحةٍ وخوضِ قتالِ
٣٣ - صان الثُّغورَ كما المروءة أَوجبت
بعزيمةٍ رَسَخَتْ رسوخَ جِبالِ
٣٤ - وافىٰ الوغىٰ ليزود عن شرفِ الحِمٰى
من مُستَبيحِ آثمِ مُحتالِ
٣٥ - ورجاله من أَهل بدرٍ عصبة
وردوا الوغىٰ بتَغَطْرسِ المختال

٣٦ - لم يبسطوا كفّاً لسلبٍ في وغىً

قبضوا الأكفّ عنِ اقتناصِ المالِ

٣٧ - عافوا الدَّنيء من الأُمور لعِلمهم

أنَّ العلىٰ لا تُقتنىٰ بمحالِ

٣٨ - رفعوا منارة مجدهم برفاتهم

عبر العصورِ علىٰ ربىٰ وتلالِ

٣٩ - واسترخصوا بذلَ النُّفوسِ ليدفعوا

عن غيلهم ما حاقَ من أَهوالِ

٤٠ - وشبَّبتها دون الغزاة جهنّماً

عصفت وكلُّ من لظاها صالِ

٤١ - وفتاك يوسف ليس يلحق ركبه

في حلبةٍ ركب غداة نزالِ

٤٢ - قاد الجحافل للجهادِ وللعدىٰ

من مثلها شتّىٰ من الأَمثالِ

٤٣ - رفعوا الحصون لدفع غائلة الرَّدىٰ

ويد الرَّدىٰ تصمي بغير نبال

٤٤ - شتَّتهم في كلِّ رحبٍ شاسعٍ

ونشرتهم دون الرُّبىٰ كَرِمالِ

٤٥ - وتركتهم خبراً يُكرِّره الصَّدىٰ

حين الغروبِ وقد مضوا لخيال

٤٦ - (حطّين) يا قبس العصور علىٰ المدىٰ

ومنارة التَّاريخ للأَجيالِ

٤٧ - ما زال تاريخٌ لمجدك مُشرقاً

كجليل عهدك في الزَّمان الخالي

٤٨ - تتماثل الأيَّام في أَحداثها

وعجيبها بروائعِ الأعمالِ

٤٩ - فكأَنَّ (بدراً) فيك جدَّد يومه

وجلالُهُ من هيبةٍ وجلالِ

٥٠ - واليوم في (الجولان) نارٌ جدَّدت

حمراءُ تسطع من ذرىٰ وتلالِ

٥١ - عصَفَتْ غواربُها فماد لها الثَّرىٰ

من رعشةٍ عرضت ومن زلزالِ

٥٢ - شقيَ اليهود بجامها غصص الرَّدىٰ

فتساقطوا عن حالقٍ كسخالِ

٥٣ - يتكفَّؤونَ علىٰ الحضيض كأَنَّهم

من ذُعرهم قد قُيِّدوا بعقالِ

الأستاذ عدنان مردم بك

(٤) غاب بدر التمّ عن أنجم الدُّجى

١ - ذَرَا السَّعيَ في نَيلِ العُلَا والفضائِلِ
مـضَـىٰ مَـنْ إلـيـهِ كـان شَـدُّ الـرَّواحـلِ

٢ - فقـولاَ لـيساري الـبَرْقَ إنّـي مُعِينُهُ
بِـنَـارِ أَسـىً أو سُـحْـبِ دَمْـعٍ هَـواطِـلِ

٣ - وتـمـزيـقِ جِـلْـبَابِ الـعَـزَاءِ لِـفَـقْـدِهِ
بِــزَفْــرَةِ بــاكٍ أَو بِــحَــسْــرَةِ ثــاكِــلِ

٤ - فَأَعْلِنْ به لِلرَّكبِ واستوقِفِ السُّرىٰ
لـقُـصّـادِهِ مِـنْ قَـبْـلِ طَـيِّ الـمـراحِـلِ

٥ - وَقُلْ غاب بدرُ التِّمِّ عن أنجمِ الدُّجَىٰ
وأَشْــرَقَ مــنــهــم بــعــدهُ كُــلُّ آفِــلِ

٦ - وَمَـا كـان إلاّ الـبَحـرَ غـارَ ومَـن يَـرِدْ
سَـواحِـلَـهُ لَـمْ يَـلْـقَ غـيـرَ الـجـداولِ

٧ - وَهَـبْـكُـمْ رَوَيْـتُـم عِـلْـمَـهُ مِـنْ رواتِـهِ
فَـلَـيْـسَ عَـوالـي صَـحْـبِـهِ بِـنَـوَازِلِ

٨ - فَـقَـدْ فـاتـكُـمْ نـورُ الـهـدىٰ بـوفـاتِـهِ
ونـورُ الـتُّـقَـى مِـنْـهُ ونُـجْـحُ الـوسـائِـلِ

٩ - ومـا حـظُّ مَـنْ قَـدْ غَـرَّهُ فَـضْـلُ صـارمٍ
رَجَـا نَـضْـرَهُ مِـن غِـمْـدِهِ والـخـمـائـلِ

١٠ - لـيـبـكِ عَـلَـيْـهِ مـن رآهُ وَمـنْ حَـوىٰ
هُــدَاهُ بــأَيَّــامٍ لَــدَيْــهِ قَــلائِــلِ

١١ - ويقضي أسَىً من فاتَهُ الفَضْلُ عاجِلاً
بــرؤيــتِــهِ والــفَــوْزُ فــي كُــلِّ عــاجِــلِ

١٢ - أسفتُ لإرجائي قُدومَ أَعِزَّةٍ
عليهِ وتَشويفِ إلىٰ عامٍ قابِلِ

١٣ - ولو أنَّهم فازوا بإدراكِ مِثْلِهِ
لأَزْرَوْا عَلَىٰ سِنِّ الصِّبَا بالأَماثِلِ

١٤ - فيا لِمُصَابٍ عَمَّ سُنَّةَ أَحْمَدٍ
وأَخْرَمَ مِنْها كُلَّ راوٍ وناقِلِ

١٥ - خلا الشَّامُ مِن خيرٍ خلت كُلُّ بلدةٍ
بها من نظيرٍ للإمامِ مُماثِلِ

١٦ - وأصبحَ بعد الحافظِ العِلْمُ شاغراً
بلا حافظٍ يهذي به كُلُّ باقِلِ

١٧ - وكَمْ من نبيهٍ ضَلَّ مُذْ ماتَ جاهُهُ
وقُوِّمَ لمَّا أَن مضىٰ كُلُّ خامِلِ

١٨ - خَلَتْ سُنَّةُ المختارِ من ذَبِّ ناصرٍ
فأَيْسَرُ ما لاقَتْهُ بِدْعَةُ جَاهِلِ

١٩ - نمىٰ للإمام الشَّافعيِّ مقالَةً
فأَصْبَحَ يَثْني عنهُ كُلُّ مُجَادِلِ

٢٠ - وأيَّد قولَ الأشعريِّ بِسُنَّةٍ
فكانتْ عليهِ مِنْ أَدَلِّ الدَّلائلِ

٢١ - وكَمْ قَدْ أَبانَ الحقَّ في كُلِّ مَحْفِلٍ
فأَرْوَىٰ بما يَرْوي ظِمَاءَ المحافِلِ

٢٢ - وسدَّ منَ التَّجسيمِ بابَ ضلالةٍ
وردَّ منَ التَّشبيهِ شُبْهَةَ باطِلِ

٢٣ - وإنْ يكُ قد أودَىٰ فكم من أَسِنَّةٍ
مُرَكَّبَةٍ من قولِهِ في عوامِلِ

٢٤ - إنْ مالَ قومٌ واستمالُوا رِعَاعَهُمْ

بإضلالِهِمْ عنهُ فَلَسْتُ بمائِلِ

٢٥ - أرىٰ الأَجْرَ في نَوْحي عليهِ ولا أرىٰ

سوىٰ الإِثمِ في نَوْحِ البواكي الثَّواكِلِ

٢٦ - ليسَ الذي يبكي إماماً لدينهِ

كبَاكٍ لدنياهُ عَلَىٰ فَقْدِ راحِلِ

٢٧ - فيا قَلْبُ واصِلْهُ بأعظمِ رحمةٍ

ويا عينُ فاسْقيهِ بأَغْزَرِ وابِلِ

٢٨ - وحيِّي ثَرَاهُ الدَّهْرُ أهنىٰ تحيَّةٍ

مُكَرَّرَةٍ عندَ الضُّحَىٰ والأَصَائِلِ

٢٩ - أعِنِّي علىٰ نَوْحي عليهِ فإنَّهُ

قريبُ ثَوَاءٍ في الثَّرىٰ والجنادِلِ

٣٠ - ولَوْ لَمْ يكُنْ بالدَّمْعِ سَيْلٌ لِحُبِّهِ

لَضَنَّ عَلَىٰ لَخدٍ بهِ كُلُّ باخِلِ

٣١ - مضىٰ من حديثِ المصطفىٰ كان شاغلاً

له باجتهادٍ فيهِ عن كُلِّ شاغِلِ

٣٢ - لَقَدْ شَمِلَ الإسلامَ فيهِ رَزِيَّةٌ

وكانَ له بالنُّصْحِ أَفْضَلَ شامِلِ

٣٣ - وفَضَّلَ بينَ السَّالفينَ اطِّلاعُهُ

عليهِمْ فَذَبَّ النَّقْصَ عن كلِّ فاضِلِ

٣٤ - وأصبح في نَقْدِ الرِّجَالِ مُمَيِّزاً

بِغَيْرِ نظيرٍ في الورىٰ ومُساجِلِ

٣٥ - وأكملَ تاريخاً لِجِلِّقَ جامعاً

لِمَنْ حلَّها من كُلِّ شَهْمٍ وكامِلِ

٣٦ - فأزرىٰ بتاريخِ الخطيبِ وَقَدْ غَدَا
بخُطْبَتِهِ في الكُتْبِ أخطبَ قائِلِ

٣٧- طوىٰ الموتُ منهُ العِلمَ والزُّهدَ والنُّهىٰ
وكَسْبَ المعالي واجتنابُ الرَّذائِلِ

٣٨ - وأَفجَعَ فيهِ العالمينَ بِمُقَدِمٍ
صَبُورٍ علىٰ حربِ الضَّلالِ حُلاَحِلِ

٣٩ - وكان غَيُوراً ذَبَّ عن دينِ أَحمدٍ
وأدفَعَ عنهُ منْ شُجَاعٍ مُقاتِلِ

٤٠ - وأخْرِمَ منهُ الدِّينُ أَشرفَ صائنٍ
له ولِدَفْعِ الزَّيغِ أعظَمَ صائِلِ

٤١ - ولَمَ أرَ نقصَ الأَرضِ يَوماً كنَقْصِهَا
بِموْتِ إِمامٍ عالمٍ ذي فضائِلِ

٤٢ - أَبَا القاسِمِ الأَيَّامُ قِسْمَةُ حاكمٍ
قضىٰ بالفَنَا فينا قضيَّةَ عادِلِ

٤٣ - بماذا أعزِّي المسلمينَ ولا أرىٰ .
عزاءً سِوَىٰ مَن قَدْ مَضىٰ مِنْ أَفاضِلِ

٤٤ - عليكَ سلامُ اللَّهِ ما انْتَفَعَ الوَرَىٰ
بعلْمِكَ واستعلىٰ علىٰ المُتَطَاوِلِ

الحسين بن عبد الله بن رواحة (*)

(*) قال الحسين بن عبد الله بن رواحة الأنصاري: هذه القصيدة بجامع دمشق سنة إحدى وسبعين وخمسمائة.

(٥) دمشق المجد والعلم

١ - لعينيكِ هٰذا الوحي ما عشتُ داعيا
ونجواكِ هٰذا الشِّعر ما دُمتُ شاديا

٢ - وهٰذي الجِنانُ الباسمات عن الهوىٰ
إليك جناهَا ناعمُ العطرِ غاليا

٣ - تنسَّمتُها غنَّاء في ميعةِ الصِّبَىٰ
وما زلتُ في الخمسين أَجني الأَمانيا

٤ - أغانٍ كرشْفِ الرَّاحِ عذبٌ سماعُها
إذا هيَ مرَّتْ بالشِّفاه تَسَاقِيَا

٥ - وللشِّعْرِ ما لِلخَمْرِ مَنْ نَشوَةِ المُنَىٰ
إذا انْسَابَ لَحناً واسْتَقامُ مَعَانيا

٦ - مَزِيجانِ مِنْ فَيْضِ العُقُولِ سَوَاكباً
وَمِنْ غيثِ رفَّاتِ القُلُوبِ حَوانيا

٧ - طويتُ شَبَابي فيهما وإِلَيْهما
وأحسبُ أنِّي عَنهُمَا لستُ لاَهِيَا

٨ - وكيفَ تصُدُّ الشِّعْرَ نفسٌ ترشَّفتْ
لبانَ المعاني سائغ الطَّعم صَافيا

٩ - لَئِنْ فاتَها مِنْ مُتْعَةِ النَّفسِ قدرها
لَقَدْ أدركْتُ حَظّاً من الخُلْدِ وافيا

١٠ - شآم حرَّمتِ العالمين التَّباهيا
وساميتِ في دنيا الإِباءِ العوالِيَا

١١ - وَرَسَّخْتِ للأَجْيالِ ما يُعجِزُ الدُّنىٰ
وأَيقَظْتِ في الأَلْبَابِ ما كان غافيا

١٢ - فكَمْ مِنْ سطورٍ من كِتابكِ لم تزلْ
رجـاءً لِـمَـنْ يَـشـقَـىٰ وَلَـمْ يَـلْـقَ عَـادِيـا
١٣ - نَفَضْتِ غُبَارَ الدَّهْرِ عنها وأَشْرَقَتْ
عَـلَـىٰ الـنَّـاسِ نُـوراً بِـتَـرْكِ الـلَّـيْـلِ زاهِـيَـا
١٤ - وَشَعَّتْ رجالُ الفِكْرِ عنها وأَشْرَقَتْ
عَـلَـى الـنَّـاسِ نُـوراً يـتـرك الـلَّـيـل زاهـيـا
١٥ - وَشَعَّت وجال الفِكر تحتَ سمائِها
فـأدْرَكَ مـا لـم يُـبْـقِ لـلـبـحـثِ بـاقـيـا
١٦ - فَمَنْ كانَ يَرْجُو المَجْدَ لاقاهُ يانعاً
وَمَـنْ كـانَ يَـرْجُـو الـعِـلْـمَ وافـاهُ دانِـيـا
١٧ - هناكَ بُناةُ المَجْدِ حلَّتْ رحالها
ورُبَّـانُ أهْـلِ الـعـلـمِ ألْـقَـىٰ الـمـراسـيـا
١٨ - وَمَا شَحَّ زيتُ العلمِ في سُرْجِ أُمَّةٍ
وظـلَّـت بـمـيـزانِ الـحـيـاةِ كـمـا هـيـا
١٩ - ولـكـن مـعـيار الشُّعوبِ وقَدْرَها .
عَـلَـىٰ قـدر مـا أعـطـت مـن الـعـلـم شـافـيـا
٢٠ - ذكرت - عليّاً - والنُّهَىٰ يسأل النُّهَىٰ
وقـد شـاد ركـنـاً لـلـمـعـارفِ عـالـيـا
٢١ - أفـي أُمَّـةٍ مـا فـي الـعـروبـة أَنـجُـمٌ
تـجـوزُ شـمـوسَ الـعـارفـيـن مَـراقـيـا
٢٢ - لـه انـقـادتِ الآمـالُ حـتـى كـأنَّـمـا
هُـوَ الـبَـحْـرُ والآراء بـاتَـتْ سـواقـيـا
٢٣ - وأبقته نعماء الصَّلاح على السُّرىٰ
وراء الـهـدىٰ فـاسـتـعـذب الـعـمـر سـاريـا

٢٤ - وطوَّفَ حتَّى لم يدعْ من مقدم
حوىٰ العلمَ إلاّ واجتناه تناجيا

٢٥ - فَمَنْ كانَ في (بغداد) صافاه طالباً
وَمَنْ كانَ في (جرجان) وافاه صاديا

٢٦ - ولا نقعت (مرو) الغليل بفيضها
ولا سُحب (نيسابور) كانت غواديا

٢٧ - ومكّة والعرفان خصب بأَرضها
رَعَتْهُ فلم يَسْتَوْفِ ما كان راجيا

٢٨ - كذلك لم يشبع من العِلم طالبٌ
إذا كان غير العلم لم يَزجُ كافيا

٢٩ - أَبا قاسم ماذا عن الدَّهرِ قبلنا
وماذا عن الأَمس الذي صار ماضيا

٣٠ - وماذا عن الفيحاء من شامخ العلىٰ
بِرَبْكَ هل آنَسْتَ إلاّ المعاليا

٣١ - هيَ الشّام والأَيّامُ عرس بذكرها
إذا ما انسياب المجد رام التَّهَادِيَا

٣٢ - فيا دائب السَّعي الملحّ هل ارتوىٰ
من العلمِ حُرٌّ أنفق العمر سَاعيا

٣٣ - معاذ الهدىٰ أن يبلغ الشّوط عازمٌ
وأَبعاد ما في العِلم تأبىٰ التَّنَاهيا

٣٤ - كفاك مِنَ العِرفانِ ما بت غانماً
ومنْ نعمةِ الإِيمانِ ما عشتَ بانيا

٣٥ - فلولا هدى الأسلاف زلّت بنا الخُطىٰ
وعشنا بأَطراف الحياة بواقيا

٣٦ - أبـا قـاسـم مـا الـعُـمـر إلاَّ مـآثـرٌ
تـحـلُّ مـحـلَّ الـرَّاحـلـيـن سـوامـيـا

٣٧ - لـذكـراك فـي كـلِّ الـنُّـفـوسِ مـرابـعٌ
تـرفُّ عـلـيـهـمـا الـمـكـرمـات زواهـيـا

٣٨ - خذِ الشِّعرِ من قلبٍ سوى الشّعر ما احتوىٰ
وغـيـرُ بـيـانِ الـعـرب مـا اخـتـار خَـالـيـا

٣٩ - أوىٰ كلُّ قلبٍ حيثُ شاءَ وخافقي
إلـىٰ حـيـثُ كـان الـشِّـعـر كـان الـموافـيـا

٤٠ - يقولونَ شابَ الحزنُ لحنك والأَسىٰ
عَـلاَمَ وقـد أوتـيـت مـنـه الـنَّـواحِـيـا

٤١ - وما علموا كم أسْتُرُ السّخطَ بالرِّضَى
وأُرخـي سُـجُـوفَ الـكـبـريـاءِ تـعـالـيـا

٤٢ - فـيـا تُـرْبَـةً سَـيَّـدت مـن كـلِّ ذرَّةٍ
بـهـا ذكـريـاتـي وابْـتَـنَـيْـتُ شَـبَـابـيـا

٤٣ - سـلـمـتِ ولـو أنّي لـديـكِ مُـضَـيَّـعٌ
سـلـمـتِ ولـو عـانـيـتُ مـنـكِ الـتَّـجـافِـيـا

٤٤ - سَيَشْهَدُ من لم يَشْهد اليوم أنَّني
حُـرِمْـتُ بـأفـيـاء الـحَـيَـاةِ مـكـانِـيَـا

٤٥ - أبا القاسمِ انهض واشهد اليوم ما بنت
يَـدُ الـشَّـام تَـلْـقَ الـمـجـدَ بـالـشَّـام بـاديـا

الأستاذ عبد الرّحيم الحصني

ديــوان

ابـن عســـاكر

- للحافظ ابن عساكر شعرٌ كثيرٌ
قلَّما أَملىٰ مجلساً إِلاَّ وختمه بشيءٍ
من شعره.

عبد الوهاب بن علي
تاج الدين السّبكي

(١) الحثُّ على الجهاد

- قال السَّمعاني:

وما أنشدنيه لنفسه، وقد أعفىٰ الملك نور الدّين قدَّس الله روحه أَهل دمشق من المطالبة بالخشب، فورد الخبر باستيلاء عسكره علىٰ مصر، فكتبه إِليه يُهنّئه، وأَملاه عليَّ في الثاني والعشرين من جمادىٰ الأولىٰ سنة أربع وستين وخمسمائة :

١ - لَمَّا سَمَحْتَ لِأَهْلِ الشَّامِ بِالخَشَبِ
عُوِّضْتَ مِصْرَ بِمَا فِيهَا مِن النَّشَبِ

٢ - وَإِنْ بَذَلْتَ لِفَتْحِ القُدْسِ مُحْتَسِباً
لِلأَجْرِ جُوزِيتَ خَيْراً غَيْرَ مُحْتَسَبِ

هو عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السّمعاني المروزي، أبو سعد، مؤرّخٌ رحالةٌ، من حفّاظ الحديث، ولد في مرو سنة ٥٠٦ هـ الموافق ١١١٣م، وتوفي فيها سنة ٥٦٢ هـ الموافق ١١٦٧م، رحل السّمعاني إلى أقاصي البلاد، ولقي العلماء والمحدّثين، وأخذ عنهم، وأخذوا عنه. نِسْبته إلى سمعان (بطن من تميم). له: الأنساب، وتاريخ مرو، وتذييل تاريخ بغداد، والآمال، وأدب الإملاء والاستملاء، وفرط الغرام إلى ساكني الشام.

يراد بها سابقاً سورية على العموم، كانت تقسم إلى سبعة أجناد على أيام العرب: فلسطين، والأردن، وحمص، ودمشق، وقنسرين، والعواصم، والثُغور، أمّا اليوم فيطلق هذا الاسم على دمشق العاصمة. أبدلت. دولة عربية في شمال شرقي إفريقية، عاصمتها القاهرة: يحدها شمالاً البحر الأبيض المتوسط، وشرقاً فلسطين وخليج العقبة والبحر الأحمر، وجنوباً السّودان، وغرباً ليبيا. المال والعقار.

عاصمة فلسطين، تعود آثارها إلى الألف الثالث قبل البلاد، احتلها داود عليه السلام وجعلها عاصمة ملكه، وبنى فيها سليمان عليه السلام هيكله الشهير، وأصبحت تدعى المدينة المقدسة، ودمّرها الرومان بقيادة تيطس سنة (٧٠) ق.م، ثم أعاد الأمبراطور هادريانُس بناءها ودعاها آيليا كابيتولينا سنة ١٣٥م، وأحرقها الفرس سنة ٦١٤ م، ثم سلّمها بطريركها صفرونيوس للخليفة عمر بن الخطاب سنة ٦٣٨م، ودعاها العرب القدس، واحتلها الصليبيون سنة ١٠٩٩م، واسترجعها البطل المسلم صلاح الدين الأيوبي بعد معركة حطين سنة ١١٨٧م.

٣ - وَالأَجْرُ فـي ذَاكَ عِـنْـدَ الله مُـرْتَـقَـبٌ
فِـيـمَـا يُـثِـيـبُ عَـلَـيْـهِ خَـيْـرُ مُـرْتَـقَـبِ

٤ - وَالـذِّكْـرُ بـالـخَـيْـرِ بَـيْـنَ الـنَّـاسِ تَـكْـسِـبُـهُ
خَـيْـرٌ مِـنَ الـفِـضَّـةِ الـبَـيْـضَـاءِ وَالـذَّهَـبِ

٥ - وَلَـسْـتَ تُـعْـذَرُ فـي تَـرْكِ الـجـهـادِ وَقَـدْ
أَصْـبَـحْـتَ تَـمْـلِـكُ مِـنْ مِـصْـرٍ إلـى حَـلَـبِ

٦ - وَصاحِـبُ الـمـوصـلِ الـفَـيْـحَـاءِ مُـمْـتَـثِـلٌ
لِـمَـا تُـريـدُ فَـبَـادِرْ فَـجْـأَةَ الـنُّـوَبِ

٧ - فـأَحْـزَمُ الـنَّـاسِ مَـنْ قَـوَّىٰ عَـزِيـمَـتَـهُ
حَـتَّـىٰ يَـنَـالَ بِـهَـا الـعَـالـي مِـنَ الـرُّتَـبِ

---

(٣) الأجر: الجزاء والثواب على العمل، الجمع: أجورٌ. يثيب: يجزي. والثّواب: الجزاء بالخير والشّرّ، وهو في الخير أكثر استعمالاً، والعطاء. قال الله تعالىٰ في سورة آل عمران الآية: (١٩٥): ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾. مرتقب: ناظر وراصد.

(٤) الذّكر: الصّيت يكون في الخير والشّر. تكسبه: تناله وتحصله. والكسب: ما اكتسب، قال المتنبي:

ولـسـتُ أبـالـي بـعـد إدراكـي الـعُـلا ... أكـان تُـراثـاً مـا تَـنَـاولْـتُ أم كَـسْـبـا

الفضة: معدن أبيض لَمَّاع ثمينٌ يوجد في الطبيعة مختلطاً ببعض المعادن الأخرى، تُصنع منه الحُلي والأواني، وتُضرب منه أصنافٌ من النُّقود، وللفضّة أسماء أُخرى كاللّجين، والغرب. الذَّهب: المعدن النفيس الأصفر اللّون المتّصف بصفاتٍ فيزيائية معينة. والذّهب الأبيض: خليط من الذَّهب والفضة، ويعامل معاملة الذّهب في الأحكام.

(٥) تُعذر: عذر: رفع عنه اللّوم. الجهاد: قتال العدو الكافر حلب: مدينةٌ في شمال سورية تُعرف بالشّهباء، احتلها الحثيون، سنة ١٦٠٠ ق.م. وفتحها الإسكندر المقدوني سنة ٣٣٣ ق م، ودعاها السلجوقيون (بيرويا) بعد احتلالهم لها، وخرّبها الفرس سنة ٥٤٠م فتحها المسلمون سنة ٦٣٧م، وأصبحت عاصمة جند قنسرين، وجعلها الحمدانيون عاصمة لدولتهم سنة ٩٤٤م.

(٦) الموصل: مدينة في العراق، وهي المدينة المشهورة العظيمة إحدى قواعد بلاد الإسلام. الفيحاء: الواسعة، والفيحاء لقب لمدينة دمشق وطرابلس والبصرة، لكن الشاعر السّرّي بن أحمد الرفاء وصف الموصل في شعره بالفيحاء فهو يقول:

سقـى رُبَـىٰ الـمـوصـل الـفـيـحـاء مـن بـلـدٍ ... جَـود مـن الـمُـزْن يـحـكـي جـود أهـلـيـهـا

النُّوب: المفرد: النائبة؛ أي: النازلة، والمصيبة.

(٧) أحزم: حزمه حزماً: شدَّه بالحزام. وحزم حزماً وحزامةً: صار عاقلاً ذا حنكةٍ وضبطٍ للأمور، فهو حازمٌ، الجمع: حَزَمةٌ، وحزّامٌ، وهو حزيمٌ، الجمع: حزماءُ. عزيمته: العزيمة: الإرادة المؤكّدة، =

٨ - وَقَدْ بَلَغْتَ بِحَمْدِ الله مَنْزِلَةً
عَلِيَّةً فَاقْصُدِ العَالِي مِنَ العَرَبِ

٩ - فَالجِدُّ والجَدُّ مَقْرونَانِ في قَرَنٍ
وَالحَزْمُ في العَزْمِ والإِدْرَاك في الطَّلَبِ

١٠ - وَطَهِّرِ المَسْجِدَ الأَقْصَىٰ وَحَوْزَتَهُ
مِنَ النَّجَاسَاتِ والإِشْرَاكِ وَالصُّلُبِ

١١ - عَسَاكَ تَظْفَرُ في الدُّنْيَا بِحُسْنِ ثَنَاً
وفي القِيَامَةِ تَلْقَىٰ حُسْنَ مُنْقَلَبِ

= الجمع: عزائمُ. الرُّتب: المفرد: الرُّتبة، وهي: المنزلة والمكانة أو المنزلة الرَّفيعة. والمرتبة: المنزلة الرَّفيعة، الجمع: مراتب.

(٨) منزلة: الدَّرجة، والرُّتبة، والمكانة، يقال: له منزلةٌ عند فلانٍ؛ أي: مكانةٌ. وهو رفيع المنازل؛ أي: المراتب، وهذا بمنزلة ذاك؛ أي: بمرتبته. الجمع: منازلُ.
لم يرد هذا البيت في كتاب الروضتين.

(٩) الجِدّ: الاجتهاد في العمل، نقيض الهزل، والعزم على قضاء الأمر. يقال: كان الأمر جيداً، وهذا أوان الجِدّ، وصار الأمر أكثر جدّاً. والجَدُّ: الحظُّ والحظوة، والجلال والعظمة. مقرونان: متّصلان. قَرَن: قرن الشَّيءُ بالشّيء، والشّيءُ إلى الشّيء، وبين الشَّيئين قرناً وقراناً: جمع. الحزم: ضبط الرَّجل أمره وأخذُهُ بالثّقة. العزم: الصَّبر والجلد، والثّبات والشِّدَّة فيما يعزم عليه الإنسان.

(١٠) طهر: نقي من النجاسة والدَّنس. المسجد الأقصى: جامعٌ كبيرٌ في القدس، جنوبي قبّة الصّخرة، شيَّده الوليد بن عبد الملك سنة (٧٠٥ - ٧١٥م)، وهو من محجّات المسلمين الكبرى. حوزته: الحوزة: النّاحية، وحوزة الرّجل: ما يملكه، ومنه: حوزة الإسلام؛ أي: حدوده ونواحيه، وكلُّ شيءٍ تضمُّهُ إليك قد صار في حوزتك. النجاسات: المفرد: النّجاسة، وهي القذارة. الإشراك: من الشّرك وهو القول بتعدُّد الآلهة، وهنا بمعنى المشركين. الصُّلب: نسبة إلى الصَّليب أي الصّليبيين.

(١١) عساك: عسىٰ: فعل ماضٍ جامدٌ من أخوات (كادَ). يكون للتّرجّي في الأمر المحبوب كقول الله تعالى في سورة القصص: الآيةَ (٩): ﴿لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ ويكون للإشفاق في الأمر المكروه كقوله تعالى في سورة الأعراف، الآية: (١٢٩): ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾. ثنا: الثَّناء: المدح، الجمع: أثنيةٌ، قال الشّاعر:

لَيْسَ الكَرِيمُ الذي يُعْطي عَطِيَّتَهُ ... عَنِ الثَّنَاءِ وإنْ أَغْلَىٰ بِهِ الثَّمَنَا
بَلِ الكَرِيمُ الذي يُعْطي عَطِيَّتَهُ ... لِغَيْرِ شيءٍ سِوَىٰ اسْتِحْسَانِهِ الحَسَنَا

القيامة: من أسماء الدّار الآخرة، يوم بعث الخلائق للحساب. [مصدر هذه الأبيات من خريدة القصر وجريدة العصر: (١/٢٧٧)، وكتاب الرَّوضتين: (٢/٦٨) مع اختلافٍ في بعض الألفاظ].

(٢) إفشاء السّرّ

- قال السَّمعاني:

أنشدنا أَبو القاسم الحافظ لنفسه ببغداد :

١ - وَصَاحِب خَانٍ مَا اسْتَوْدَعْتُهُ وأَتَىٰ

مَا لاَ يَلِيقُ بِأَرْبَابِ الدِّيَانَاتِ

٢ - وَأَظْهَرَ السِّرَّ مُخْتَاراً بِلاَ سَبَبٍ

وَذَاكَ وَاللَّهِ مِنْ أَدْنَىٰ الجِنَايَاتِ

انظر ترجمته في القصيدة رقم: (١).

عاصمة الجمهورية العراقية، وقاعدة محافظة ومركز قضاء بغداد، شيّدها المنصور الخليفة العباسي سنة ٧٦٢م على شكل مستدير ودعاها مدينة السلام، وجعلها عاصمته، ازدهرت المدينة ازدهاراً منقطع النظير بين ٧٥٤ - ٨٣٣م مع المنصور، والمهدي، والهادي، والرشيد، والأمين، والمأمون، وأخذت بالانحطاط بعد أن نقل المعتصم العاصمة إلى سامراء سنة ٨٣٦م، وأصبحت عاصمة من جديد سنة ٨٩٢م، ودمَّرها هولاكو سنة ١٢٥٨م، وتيمورلنك سنة ١٤٠٠م، ثم الأتراك سنة ١٢٥٨م.
وفي بغداد المتحف الإسلامي، والمدرسة المستنصريّة، والقصر العباسي، وقبر زبيدة امرأة هارون الرشيد. قال أحد الشعراء في بغداد:

بغداد يا دار الملوك ومُجتبى ... صفوف المنى يا مستقرّ المنابر

ويا جنّة الدُّنيا ويا مجتنى الغنىٰ ... ومُنبسط الآمال عند المتاجر

فندق التُّجار، أو محطة القوافل، أو المنزل. استودع شيئاً: جعله وديعة عنده يحفظه، فالشيء مستودعٌ. لا يَحْسُنُ. يقال: ما يليق أن تفعل كذا؛ أي: لا يناسب وليس أهلاً لأن يُنسب إليك. أصحاب. المفرد: الدّيانة؛ أي: ما يتديّن به الإنسان.

أفشيه. وفي كتمان السّرّ قال أحد الشعراء: [من البسيط]:

لا يكتم السّرَّ إلاّ كُلُّ ذي ثِقَةٍ ... والسِّرُّ عند خيارِ النّاسِ مَكْتُومُ

فالسِّرّ عندي في بيتٍ له غَلَقٌ ... ضَاعَتْ مفاتيحُهُ والبَابُ مختومُ

وما أجمل ما قال أحمد بن علي (ابن خاتمة الأندلسي) في هذا الأمر (من الوافر):

عَلَيْكَ الكَتْمَ واحْذَرْ قَوْلَ سِرٍّ ... لِمَنْ قَدْ ظَلَّ سِرّاً لسِوَاكَ يَحْكي

فَمَنْ أَهْدَاكَ سِرَّ الغَيْرِ يوماً ... أَفَاءَ الغَيْرَ سِرَّكَ دونَ شَكِّ

المفرد: الجناية. وصفٌ لأشدّ الجرائم عقوبة.

٣ - أَمَا أَتَاهُ عَنِ الـمُخْتَارِ فِي خَبَرٍ
أَنَّ الـمَجَالِسَ تغْشَىٰ بِالأَمَانَاتِ؟

من أسماء رسول الله . [illegible] أخرج أبو داود في سننه: (٤٨٦٩)، وأحمد في المسند: (٣/ ٣٤٢)، وهو في مسند أحمد - طبعة الدار-: (١٤٦٩٩)، والبيهقي في السُّنن الكبرى: (١٠/ ٢٤٧) وهو في السنن الكبرى - طبعة الدار-: (٢١٧٦٦)، وابن حجر في فتح الباري: (١١/ ٨٢)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين: (٨/ ٣٢٣)، والتبريزي في مشكاة المصابيح: (٥٠٩٣)، والهندي في كنز العمال: (٢٥٣٧٧) و (٢٥٤٣٤): قال رسول الله ﷺ: «المجالس بالأمانة». وورد الحديث أيضاً بلفظ: «المجالس أمانة».

[مصدر هذه الأبيات من كتاب خريدة القصر وجريدة العصر: (١/ ٢٧٥)، ومعجم الأدباء لياقوت: (١٣/ ٧٣ - ٨٧)].

(٣) الصَّداقة والبضاعة

- قال السَّمعاني:

- كتب إليَّ أَصحابنا من دمشق في ابتداء كتابٍ يعاتبني علىٰ ترك إنفاذ كتاب (دلائل النُّبوَّة) لأحمد البيهقي وغيره من الكتب، وقد لزم فيها ما لا يلزم[*]:

١ - مَـا خَـلَـتْ حَـاجَـاتـي إِلَـيْـكَ
وَإِنْ تَـــأْتِ داري مُـــضَـــاعَـــهْ

٢ - وَأَرَاكَ قَـــدْ أَهْـــمَـــلْـــتَـــهَـــا
وَأَضَـــعْـــتَـــهَـــا كُـــلَّ الإِضَـــاعَـــهْ

٣ - أَنَـــسِـــيـــتَ ثَـــدْيَ مَـــوَدَّةٍ
بَـيْـنـي وبَـيْـنـكَ وَارتِـضَـاعَـهْ؟

(*) السَّمعاني: انظر ترجمته في القصيدة رقم: (١). كتاب دلائل النُّبوَّة: كتاب يضم بين طياته معجزات رسول الله ﷺ يقع في (٩٩٢) صفحة، وقد قامت الدار بطباعته. أحمد البيهقي: هو أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر، من أئمة الحديث، ولد البيهقي في خسرو جرد (من قرى بيهق) سنة ٣٨٤ هـ الموافق ٩٩٤م ونشأ في بيهق، ورحل إلى بغداد، ثمّ إلىٰ الكوفة، ومكة، وغيرهما، وطُلب إلى نيسابور، فلم يزل فيها إلىٰ أن مات سنة ٤٥٨ هـ الموافق ١٠٦٦م، ونُقل جثمانه إلى بلده.
قال إمام الحرمين: ما من شافعيٍّ إلاّ وللشافعيِّ فضلٌ عليه غير البيهقي، فإنَّ له المنَّة والفضل على الشافعيّ لكثرة تصانيفه في نصرة مذهبه، وبسط موجزه، وتأييد آرائه.
وقال الذهبي: لو شاء البيهقي أن يعمل لنفسه مذهباً يجتهد فيه لكان قادراً على ذلك لسعة علومه ومعرفته بالاختلاف.

(١) خَلَت: فرغت. مضاعه: طائعة.

(٢) أهملتها: تركتها عمداً أو نسياناً.

(٣) ثدي: الثَّدي: النتوء في صدر المرأة والرَّجل، وهو في المرأة غُدَّةٌ في وسطها حلمةٌ مثقبة يُمْتَصُّ منها اللّبن. مودّة: محبّة. ارتضاعه: رضع الطّفل أُمّه رضعاً ورضاعاً ورضاعةً: امتصَّ ثديها أو ضرعها، فهو راضعٌ، الجمع، رُضَعٌ.

٤ - وَلَـقَـدْ عَـهِـدْتُـكَ فـي الـوَفَـا
ءِ أَخَـا تَـمِـيـمٍ لاَ قُـضَـاعَـهْ

٥ - وَأَرَاكَ بَـكْـراً مـا تَـخَـا
فُ عَـلَـىٰ الـصَّـدَاقَـةِ والـبِـضَـاعَـهْ

(٤) عهدتك: عرفتك. الوفا: الوفاء: المحافظة على العهد والالتزام به. تميم: قبيلةٌ عربيَّةٌ يرجع نسبها إلى تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر، بنون بطون كثيرة جداً. قال ابن حزم: وهم قاعدة من أكبر قواعد العرب، كانت منازلهم بأرض نجد والبصرة واليمامة، وامتدّت إلى العذيب (من أرض الكوفة) ثمّ تفرَّقوا في الحواضر والبوادي.

قال اليعقوبي: كانت تلبيتهم في الجاهلية إذا حجُوا: لبيك اللَّهمَّ لبّيك. لبّيك لبّيْك عن تميم قد تراها، قد أخلقت أثوابها وأثواب من وراها، وأخلصت لربِّها دعاها.

قضاعة: قبيلة عربية يرجع نسبها إلى جدها الجاهلي قضاعة. قيل: هو قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرّة، وقيل غير ذلك، كان ملكاً على بلاد (الشمر) بين عمان واليمن، نزل بنوه أو بعضهم بشاطىء البحر الأحمر، وقاتلهم العدنانيون. وكانت منازلهم بين جدّة وذات عرق (قرب مكة) ثمَّ تفرَّقوا في البلاد، فمنهم من نزل بوادي القرى والحجر، ومنهم من استقرَّ في أطراف الشام، ومنهم من طلع إلى نجد.

قال ابن خلدون: كان لقضاعة ملك ما بين الشام والحجاز إلى العراق، واستعملهم الرُّوم على بادية العرب.

وقال اليعقوبي: كانت تلبية قضاعة في الجاهلية إذا حجّت، لبِّيك عن قضاعة، لربِّها دفاعة، سمعاً له وطاعة.

(٥) بكر: قبيلةٌ عربيَّةٌ يرجع نسبها إلى جدها الجاهلي بكر بن وائل بن فاسط، من بني ربيعة، من عدنان، من نسله: بنو بكر، وبنو حنيفة، وبنو الدّؤل، وبنو مرَّة، وبنو عجل، وبنو تيم الله، وبنو ذهل بن شيبان، وكان صنمهم في الجاهليّة يُدعىٰ (المحرِّق) شاركتهم فيه ربيعة كلّها، أقاموه في (سَلْمان) وراء الكوفة، وجعلوا في كلِّ حيٍّ من ربيعة (ولداً) له، وكان سدنته آل الأسود، من بني عجل، ومن أصنامهم: (أُوال) و(ذو الكعبين).

الصَّداقة: علاقة عطفٍ ومودَّةٍ بين الأشخاص، والصِّدق في الودِّ والنُّصح. البضاعة: ما يُتَّجر به، الجمع: بضائعُ.

[مصدر هذه الأبيات من خريدة القصر وجريدة العصر: (١/ ٢٧٥)، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي: (٧/ ٢١٥ - ٢٢٣)].

(٤) الذّفاع عن أبي الحسن الأشعري

- قال الإمام الحافظ ابن عساكر:

- إن لامني علىٰ ذبِّي عن عرض هذا الإمام متحاملٌ، وتواعدني علىٰ إيضاح حاله جاهلٌ أو متجاهلٌ بعد سماع هٰذه الأحاديث فليس لتعتبه عندي: عتبي، لأنَّ الحامل لي على ذلك طلب الخلاص من النار في العقبى، وقلت مجيباً له :

١ - يـا مـعـشـرَ الإِخْـوَان لـو ظَـفَـرتْ يـدي
بِـمُـسـاعِـدٍ ومُـؤَيِّـدٍ وَمُـلاَطِـفِ

٢ - لَـشَـرَحْـتُ مَـا حَـاوَلْـتُ شَـرْحـاً بَـيِّـنـاً
وشـفـعـتُ سـالـفَ ذَاكَ بـالـمُـسْـتَـأنـفِ

٣ - تـا الـلّـه أوفـىٰ حِـلـفـة لِـلْـحَـالـفِ
مـا يـبـغـضُ الـعُـلـمـاءِ غَـيْـرَ مَـخَـارِفِ

٤ - يـا مَـنْ تَـوَاعَـدَنـي لِـفَـرْطِ جَـهـالَـةٍ
اكْـفِـفْ وَعِـيـدَكَ لـي فَـلَـسْـتُ بِـخَـائِـفِ

ذبَّ عنه ذبّاً: دفع عنه. هو الإمام علي بن إسماعيل (أبو الحسن الأشعري) تقدمت ترجمته في باب «قالوا في ابن عساكر». جزاء الأمر.

نالت. معاون. ناصر. من اللُّطف، وهو الرفق.

وضّحت وكشفت. الواضح الجلي، والبيِّن من الكلام: الفصيح. شفع له شفاعةً: سعى له في جلب منفعةٍ أو دفع مضرَّة.

الحلف: العهد بين القوم. وحلف حَلْفاً وحِلْفاً وحَلِفاً: أقسم، فهو حالف وحلاَّفٌ وحلاَّفةٌ، وهي حالفةٌ وحلاَّفةٌ.

هددني. والوعيد: التهديد. الفرط. مجاوزة الحدّ، يقال: إِيَّاك والفرط في الأمر؛ أي: مجاوزة الحدّ. الجهل: الخلوُّ من المعرفة، والطيش والسّفه. امتنِع وانصرف عنه.

٥ - لَوْ كُنْتَ تعرفني كَمَا خَوَّفْتَني
فَذَرِ الوَعِيدَ فَلَسْتَ لي بالعَارِفِ

٦ - مَا لِنْتُ قَطّ لغامزٍ مُتَغَشْمِرٍ
كَلاَّ ولاَ لاَيَنْتُ حيفَ الحَائِفِ

٧ - فَأَنا الشَّجىٰ في حَلْقِ كلِّ مُنَافِقٍ
وَأَنَا القَذَىٰ في عَيْنِ كُلِّ مُخَالِفِ

٨ - وَأنا الَّذي سَافَرْتُ في طَلَبِ الهُدَىٰ
سَفَرينِ بينَ فَدَافِدٍ وَتَنَائِفِ

٩ - وَأَنَا الَّذي طَوَّفْتُ غَيْرَ مَدينَةٍ
مِنْ أَصْبَهانَ إِلىٰ حُدُودِ الطَّائِفِ

ذرَّ فلان الشّيء: بدَّده وفرَّقه ونثره.

غمز على فلان: طعن فيه فهو غامزٌ وغمازٌ. غشمر لي فلانٌ: غضب وتنمَّر. والغشمرة: إتيان الأمر عن غير تثبُّت. والغشمرة أيضاً: ركوب الإنسان رأسه في الحقِّ والباطل لا يبالي ما صنع. والغشمريّة: الظُّلم. حاف عليه حيفاً: جار وظَلَم، فهو حائفٌ، الجمع: حُيَّفٌ. قال الله تعالى في سورة النور، الآية: (٥٠): ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ﴾. والحيف: الجور والظُّلم، والميل في الحكم، والجنوح إلى أحد الجانبين.

والشجا: ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه. مساغ الطّعام والشراب إلى المريء، الجمع: حُلُوقٌ. نافق: أظهر غير ما يضمرُ. والنّفاق: فعل المنافق. ما يتكوَّن في العين من رمصٍ وغمصٍ وغيرهما.

هكذا كان دأب الإمام ابن عساكر في طلب العلم. المفرد: الفدفد: الأرض الواسعة المستوية لا شيء فيها. المفرد: التَّنوفة: القفر من الأرض، والفلاة لا ماء فيها ولا أنيس وإن كانت مُعْشبةً.

طاف في البلاد طوفاً وتطوافاً: سار فيها وجال. أو أصفهان: مدينةٌ في إيران، بين شيراز وطهران، أعطت عدداً كبيراً من الأدباء، اتخذها العباس الأول عاصمةً له في القرن السابع عشر، وبنى فيها المسجد المعروف، تشتهر بتجارة الحرير والطّنافس. مدينة في المملكة العربية السُّعودية، جنوب شرقي مكة، على قمّة جبل غزوان الذي يرتفع (١٦٣٠م) عن سطح البحر، سكنها في الجاهلية بنو ثقيف، وهي اليوم نقطة مواصلات هامّة بين الرّياض ومكة وغامد وزهران ونجران، وهي أهم مصيف في البلاد.

كان معاوية بن أبي سفيان يقول: أغبطُ النّاس عيشاً عبدي أو مولاي سعد، وكان يلي أمواله بالحجاز=

١٠ - والـشَّـرْقُ قَـدْ عَـايَـنْـتُ أَكـثـرَ مُـدنِـهِ
بَـعْـدَ الـعِـراقِ وَشَـامَـنَـا الـمُـتَـعَـارفِ

١١ - وَجَـمَـعْـتُ في الأَسْفَارِ كُلَّ نَفيسَـةٍ
وَلَـقِـيـتُ كُـلَّ مـخـالـفٍ وَمُـؤالـفِ

١٢ - وَسَمِعْتُ سُنَّةَ أَحْمَدَ مِنْ بَعْدِ مَا
أَنْفَقْتُ فِيهِما تَالِدِي مَع طَارِفِي

١٣ - وَرَوَيْـتُـهـا بـأَمَـانَـةٍ وَصِـيـانَـةٍ
وَنَـزَاهَـةٍ تَـنْـفـي سَـفَـاهَـةَ قـارِفِ

= ويتربَّع جدّة، ويتقيّظ الطائف، ويشتو بمكة، ولذلك وصف محمد بن عبد الله النّميري زينب بنت يوسف أخت الحجّاج بالنعمة والرّفاهية فقال:

تشتو بمكة نعمةً ومصيفها بالطّائف

(١٠) الشَّرق: بلاد المشرق.
العراق: جمهورية عربية في آسيا الغربيّة، عاصمتها بغداد، يحدّها شرقاً إيران، وشمالاً تركيّة، وغرباً سورية والأردن، وجنوباً المملكة العربية السعودية والكويت والخليج. شامنا: يراد بها سابقاً سورية على العموم، كانت تقسم إلى سبعة أجناد على أيام العرب: ١- فلسطين - ٢ - والأردن - ٣ - وحمص - ٤ - ودمشق - ٥ - وقنسرين - ٦- والعواصم - ٧ - والثغور. أمّا اليوم فيطلق هذا الاسم على دمشق العاصمة.

(١١) نفيسة: النادرة، والغالية، والعظيمة المكانة.
مخالف: خالفه مخالفة وخلافاً: ضادّه. وخالفه عن الأمر: خرج. قال تعالى في سورة النور، الآية: (٦٣): ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. مؤالف: ألف فلاناً إلفاً وإلافاً: أنسَ به وأحبّهُ، فهو آلِفٌ، الجمع: أُلاّفٌ، وهو أليفٌ، الجمع: أُلفاء والألف، وهي آلفة، الجمع: آلفاتٌ، وأوالف.

(١٢) أحمد: رسول الله ﷺ. أخرج الهيثمي في مجمع الزوائد: (٨/ ٢٨٤) وهو في مجمع الزوائد - طبعة الدار-: (١٤٠٦٠): عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنَا مُحَمَّدٌ وأَحْمَدُ وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ وَنبيُّ التَّوبَةِ والحَاشِرُ والمُقَفِّي وَنَبِيُّ المَلاَحِمِ». تالدي: التليد: كلُّ قديم من حيوانٍ وغيره يورث عن الآباء، وهو التّالد. وضد الطّريف والطّارف. طارفي: الطارف: المستفادُ حديثاً من المال ونحوه، ويقابله التّالد.

(١٣) الصِّيانة: صان الشيء إذا حفظه. نزاهة: النَّزاهة: البعد عن السُّوء، وترك الشهوات. سفاهة السَّفاهة: الجهل ونقيض الحلم، والطَّيش، والسَّفيه: من يسوء تصرُّفه في ماله، والجاهل. قارف قرف قرفاً: كذب وخلط.

١٤ - واخْتَرْتُ عقداً لم تشبه بِدْعة

بل يَقْتَفِيهِ خَالِف عَنْ سَالِفِ

١٥ - فالمُنْصِفُونَ يُصَحِّحونَ عَقِيدَتي

والمُنْكِرُونَ لَهَا لتركِ تَنَاصفِ

١٦ - فَعَلامَ تلحَاني لَحَاكَ إِلَهُنا

في مَدْحِ مَنْ أَعْيَا مَدِيح الواصفِ

١٧ - هٰذا كِتَابٌ فيهِ نَعْت مُوحِّدٍ

للّهِ ذي عِلْمٍ بِهِ وَمَعارفِ

١٨ - مُتَوَحِّدٌ في العِلْمِ سائر كتبه

مَشْحُونة مِنْ عِلْمِهِ بِلَطَائِفِ

١٩ - مُتَفَرِّدٌ بالنُّبْلِ لَيْسَ بِمُنْكِرٍ

تَبْريزهُ في الفَضْلِ غير زَعَائِفِ

---

(١٤) بدعة: ما استُحدث في الدِّين وغيره، الجمع: بِدَعٌ.

(١٥) عقيدتي: العقيدة: الحُكم الذي لا يقبل الشَّكُّ فيه لدى معتقديه.

(١٦) تلحاني: لحى فلاناً: لامَهُ وعَذَلَهُ وقرَّعه بشدَّة. ولاحاه ملاحاةً، ولحاءً: نازعه وخاصمه ولاومه.

(١٧) هذا كتاب: إشارة إلى كتابه: (تبيين كذب المفتري). نعت: صفة. موحد لله: من آمن بالله عز وجل. ذي علم: أي أنا أدرى بأبي الحسن الأشعري منكم، وأكثر معرفةً.

(١٨) سائر كتبه: من كتب أبي الحسن الأشعري: إمامة الصِّدِّيق، والرّد على المجسمة، ومقالات الإسلاميين، والإبانة عن أصول الدِّيانة، ومقالات الملحدين، والرد على ابن الراوندي، وخلق الأعمال، والأسماء والأحكام، واستحسان الخوض في الكلام، واللّمع في الرّد على أهل الزيغ والبدع.

وقيل: بلغت مصنفاته ثلاثمائة كتاب.

(١٩) متفرِّدٌ: لا نظير له. النُّبل: الذَّكاء والنّجابة والفضل. تبريزه: من الإبريز؛ أي: الذَّهب الخالص. الفضل: ضد النّقص، والمزيَّة، يقال: فلان من أهل الفضل، والإحسان ابتداء بلا مقابل، الجمع: أفضال. غير زعائف: غير سام، والزعاف من السّمّ: القاتل السّريع.

٢٠ - سَيْفٌ عَلَىٰ أعْدَاءِ دِينِ مُحَمَّدٍ
مِنْ جاحِدٍ أَوْ مُمْتَرٍ أَوْ وَاقِفِي

٢١ - أَصْحَابُهُ مِثْلُ النُّجُوم وَحِزْبُهُ
أَهْلُ العُلُومِ ومُرْشِدو المُتَجانِف

٢٢ - فَهُمْ أَمَانُ النَّاسِ في أَدْيَانِهِمْ
في الخَافِقَينِ وَعِصْمَةٌ لِلخَائِفِ

٢٣ - فأَحَلَّهمْ رَبُّ العِبَادِ بِفَضْلِهِ
دَارَ المَقَامَةِ فهيَ منيّة عَارِفِ

٢٤ - في جَنَّةٍ مُلْتَفَّةٍ بِحَدَائِقٍ
مَحْفُوفَة بِنَمَارِقٍ وَرَفَارِفِ

٢٥ - صَنَّفْتُ ذَلكَ لاَ لأَخْذِ دَرَاهِم
مِنْكم عَلَيْهِ ولاَ لِأَكْلِ قَطَائِفِ

---

(٢٠) جاحد: جحد فلاناً حقه وبحقّه جحداً وجحوداً: أنكره مع علمه به، والجحود: الإنكار مع العلم.

(٢١) أصحابه مثل النجوم: إشارة إلى الحديث النبويّ الشّريف الذي أخرجه الذهبي في ميزان الاعتدال: (١٥١١) و (٢٢٩٩)، وابن حجر في لسان الميزان: (٢/٤٨٨ و ٥٩٤)، والعجلوني في كشف الخفاء: (١/١٤٧)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين: (٢/٢٢٣)، وابن حجر في تلخيص الحبير: (٤/١٩٠)، وابن حجر في الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف: (٩٤): «أصحابي كالنُّجُوم بأيِّهم اقْتَدَيتُمْ اهْتَدَيتم». حزبه: الحزب: جماعة النّاس. المتجانف: جنف عن الحقّ جنوفاً: مال وجار، فهو جانفٌ، الجمع: جَنَفٌ. وجنف جنفاً: مال وجار وظلم. قال تعالى في سورة البقرة، الآية: (١٨٢): ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ﴾.

(٢٢) الخافقين: الخافقان: المشرق والمغرب. عصمة: العصمة: المنع والحفظ ماديّاً ومعنوياً، والعصمة أيضاً: ملكةٌ تكفُّ بها النّفس عن المعاصي والذُّنوب.

(٢٣) أحلهم: أسكنهم. دار المقامة: جنّة الخلود. منية: المنية: البغية والمراد، وما يتمنى، الجمع: مُنًى.

(٢٤) نمارق: المفرد: النّمرق: الوسادة الصّغيرة، أو الوسادة الصّغيرة يجعلها الرّاكب تحته على الرّحل. قال الله تعالى في سورة الغاشية، الآية: (١٥): ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾؛ أي: وسائد ومرافق يُتّكأ عليها موضوعٌ بعضها إلى جنب بعض. الرّفارف: الوسائد والفرش مرتفعة. قال تعالى في سورة الرحمٰن الآية: (٧٦): ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾.

(٢٥) صنّفت: ألّفتُ. دراهم: الدّرهم: قطعة نقدية من الفضة وزنها ٦ دوانق = ٤٨ حبة = ٢،٩٧٩ غراماً. والدّرهم التي توزن بها الأشياء مقدارها: ٥١ حبة = ٣،١٧١ غراماً. =

٢٦ - لـكـن رَدَدْتُ بِـهِ مَـقـالَـةَ كَـاذِبٍ
مُـتَـقَـوِّلٍ فـيـمـا حَـكَـاهُ مُـجـازِفِ

٢٧ - فـانـظـر إِلـىٰ تـألـيـفِـهِ مُـتَـأَمِّـلاً
بِـحَـقِـيـقَـةٍ واشْـكُـرْ صَـنـيـعَ الـرَّاصِـفِ

٢٨ - فـالـحَـقُّ لا يَـخْـفَـىٰ عـلـىٰ مُـتَـأَمِّـلٍ
وَالـبُـهْـتُ يَـذْهَـبُ مِـثْـلَ بَـرْقِ الـخـاطِـفِ

=والدِّرهم البغلي مقدارها: ٦٤ حبة = ٣،٧٧٦ غراماً.
قال أحد الشعراء في ذم الدِّرهم والدِّينار [من البسيط]:

الـنَّـارُ آخِـرُ ديـنـارٍ نَـطَـقْـتَ بِـهِ ... والـهَـمُّ آخِـرُ هـذا الـدِّرهـمِ الـجَـاري
والـمَـرْءُ بَـيْـنَـهُـمَـا إنْ كـانَ ذَا وَرَعٍ ... مُـعَـذَّبُ الـقَـلْـبِ بَـيْـنَ الـهَـمِّ والـنَّـارِ

قطائف حلواء تعمل من الدّقيق المُرَق بالماء، وتحشى بالتّمر، أو الجوز، ثم تقلى، ويوضع عليها السكر أو العسل.
قال الشاعر محمود بن الحسين (كشاجم) في صفة القطائف: (مروج الذهب: ٤/٣٦٨):

عـنـدي لأصـحـابـي إذا اشـتـدَّ الـسَّـغَـبْ ... قـطـائـف مـثـل أضـابـيـر الـكـتـبْ
كـأنـهُ إذا ابـتـدىٰ مـن الـكـثـبْ ... كَـوَافـر الـنَّـحـلِ بـيـاضـاً قـد ثـقـبْ
قـد مَـجَّ دهـن الـلَّـوز مـمـا قـد شـربْ ... وابـتـلَّ مِـمَّـا عـامَ فـيـهِ وَرسـبْ
وجـاء مـاءُ الـوَرْدِ فـيـه وذهـبْ ... فـهـي عـلـيـه حَـبَـبٌ فـوق حَـبَـبْ
إذا رآه والـــهُ الـــقـــلـــبِ طـــربْ ... مـدرج تـدريـج أبـنـاء الـكـتـبْ
أطـيـب مـنـه أن تـراه يُـنـتـهـبْ ... كـلُّ امـرئٍ لـذَّتُـهُ فـيـمـا أحَـبْ

مجازف. مخاطر. وجازف في كلامه: أرسله إرسالاً على غير رويَّةٍ.
الراصف رصف رصفاً: ضم بعض الشيء إلى بعض، ورصف العمل أو الجواب رصافة: أَحكم، فهو رصيفٌ.
البهت بهت فلاناً بهتاً وبهتاناً: قذفه بالباطل وافترى عليه الكذب وقال عليه ما لم يفعله، فهو: بَهَاتٌ.
والبهتان: الكذب المفترى والافتراء والباطل يُتَحَيَّر من بُطلانه.
برق شراراتٌ كهربائيَّةٌ بين الغيوم ويتولَّد من احتكاك الغيوم المشحونة بالكهرباء، يقال: بَرْق خُلَّب: وهو البرق الذي لا غيث معه، يُضرب مثلاً لمن يُخلف كما يخلف ذلك البرق. قال الشاعر [من الرمل]:

لا يـكـنْ وعـدُكَ بَـرْقـاً خُـلَّـبـاً ... إنَّ خَـيْـرَ الـبَـرْقِ مـا الـغـيـثُ مَـعَـهْ

٢٩ - يـا ربَّـنـا ارْحَـمْ شَـيْـخَـنـا وَإِمَـامَـنَـا
واكْـشِـفْ حَـقـيـقَـةَ قَـدْرِهِ لِـلْـكَـاشِـفِ

٣٠ - واهـتـك بِـحَـوْلِـكَ سِـتْـرَ مَـنْ يَـغْـتَـابَـهُ
مِـــنْ حـــاسِـــدٍ أَوْ عَـــاتِـــبٍ أو قَـــاذِفِ

٣١ - واعـطفْ قُـلوبَـهُـمْ عَـلَـىٰ أَصْـحَـابِـهِ
إِذْ وَحَّــدُوكَ فَــأَنْــتَ أَقْــدرُ عــاطِــفِ

٣٢ - واخـتـمْ بِـحَـمْـدِكَ يـا كـريـمُ مَـقَـالَـنَـا
شُـكْـراً عَـلَـىٰ إِفْـضَـالِـكَ الـمُـتَـرادِفِ

---

(٢٩) شيخنا وإمامنا: إشارة إلى أبي الحسن الأشعري. قدره: مكانته العلميّة وجاهه. للكاشف: للنّاظر، والمستمع.

(٣٠) اهتك: هتك الله ستره: فضحه. بحولك: بقدرتك. يغتابه: من الغيبة وهي أن تذكر أخاك في غيبته بما يكره ويسوءه ذكره. الحاسد: حسده نعمته وعليها حسداً وحسادةً: تمنّى زوالها عن المحسود وانتقالها إليه فهو حاسدٌ، الجمع: حسّادٌ، وحَسَدَةٌ، وحُسَّدٌ. العاتب: اللائم. قاذف: الرَّمي بالزّنا أو ما يسيء خاصّة وصراحةً، أو ضمناً.

(٣١) اعطف: اشفق وارحم.

(٣٢) الكريم: من أسماء الله جلَّ جلاله، وهو المعطي عباده ما سألوه منه. قال الباز الأشهب الإمام عبد القادر الجيلاني في الكريم:

إِلـهـي كـريـمٌ أَنـتَ فـأكْـرِمْ مـواهـبـي ... وكُـنْ لِـعَـدُوّي يـا رقـيـبُ مُـجَـنْـدِلا

وقال الشيخ عبد الغني النابلسي:

وبـالـحـق حَـقِّـق لـي الـكـرامـة منـكَ يـا ... كـريـمُ وكـن لـي يـا رقـيـبُ مُـنـاجِـيَـا

وقال أحمد بن محمد الدردير:

وجُـدْ يـا كـريـم بـالـعـطـا مـنـكَ والـرِّضـا ... وتـزكـيـة الأَخـلاقِ والـجـودِ والـغـنـى

[مصدر هذه الأبيات من كتاب تبيين كذب المفتري].

(٥) الحديث النّبويّ الشّريف

- قال الإمام الذَّهبيّ (*):

من نظم الحافظ أبي القاسم:

١ - أَلاَ إِنَّ الـحَـدِيـثَ أَجَـلُّ عِـلْـمٍ
وَأَشْـرَفُـهُ الأَحـاديـثُ الـعَـوَالـي

٢ - وَأَنْـفَـعُ كُـلِّ نَـوْعٍ مِـنْـهُ عِـنْـدي
وأَحْـسَـنُـهُ الـفَـوائِـدُ فـي الأَمـالـي

٣ - وَإِنَّـكَ لَـنْ تَـرَىٰ لِـلْـعِـلْـمِ شَـيْـئاً
يُـحَـقِّـقُـهُ كَـأَفْـواهِ الـرِّجَـالِ

(*) الإمام الذهبي: هو محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذَّهبي، شمس الدين أبو عبد الله، حافظٌ، مؤرِّخٌ، علاَّمةٌ، محقِّقٌ، تركمانيّ الأصل، من أهل ميافارقين.

ولد الإمام الذهبي في دمشق سنة ٦٧٣ هـ الموافق ١٢٧٤م ورحل إلى القاهرة، وطاف كثيراً من البلدان، وكفَّ بصره سنة ٧٤١ هـ.

وتصانيفهُ كثيرة تقارب المائة منها: دول الإسلام، والكنى والألقاب، وتاريخ الإسلام الكبير، وسير أعلام النبلاء - طبعة الدار باللونين الأسود والأحمر - وتذكرة الحفّاظ، والكاشف، وطبقات القراء، والكبائر، وتذهيب تهذيب الكمال، وميزان الاعتدال، والطب النبوي، والمغني، والمختصر المحتاج إليه من تاريخ الدبيثي.

توفي الإمام الذهبي في دمشق سنة ٧٤٨ هـ الموافق ١٣٤٨م.

انظر كتابنا: (ديوان الذهبي) - طباعة الدار-.

(١) الحديث: ما أثر عند رسول الله ﷺ من قولٍ، أَو فعلٍ، أَو تقديرٍ، أو صفةٍ. العوالي: المفرد: العالية.

(٢) الأمالي: من الأمل، وهو الرّجاء.

(٣) يحثّنا الإمام ابن عساكر في هذا البيت على أخذ الحديث النبوي الشريف من الرِّجال، أي أن نتعلمه من شيخ قديرٍ. وللإمام الشافعي قول في هذا الصدد.

٤ - فَكُنْ يَا صَاحِ ذَا حِرْصٍ عَلَيْهِ
وَخُذْهُ عَنِ الرِّجَالِ بِلاَ مَلاَلِ

٥ - وَلاَ تَأْخُذْهُ مِنْ صُحُفٍ فَتُرْمَىٰ
مِنَ التَّصْحِيفِ بِالدَّاءِ العُضَالِ

(٤) حرص: حَرَصَ على الشيء حرصاً: اشتدّت رغبته فيه وعظم تمسّكه به. قال الله تعالىٰ في سورة التوبة، الآية: (١٢٨): ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾. ملال: الملال: فتورٌ يعرض للإنسان من كثرة مزاولة شيء، فيوجب الكلال والإعراض عنه. ومللت الشيء ومللتُ منه مللاً، وملالةً، وملالاً: سئمته وضجرت منه. قال قيس بن الملوّح:

وقد زعموا أنَّ المحبَّ إذا دنا ... يَمَلُّ وأنَّ النأيَ يشفي من الوَجْدِ

فأنا ملولٌ، وملٌّ، وهي ملولٌ، وملولةٌ.

(٥) الصُحف: المفرد: الصَّحيفة: ما يُكتب فيه من ورقٍ ونحوه، ويطلق علىٰ المكتوب فيها.
التصحيف: الخطأ في الصَّحيفة، والالتباس في نقط الحروف، وأن يقرأ الشّيء على خلاف ما أراده كاتبه، أو علىٰ غير ما اصطلحوا عليه، وتصحفت الكلمة أو الصّحيفة: حدث بها تحريف وتغيّرت إلى خطأ. الداء العضال: المرض الشّديد الذي أعيا الأطباء.

[مصدر هذه الأبيات من وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: (٣/ ٣٠٩ - ٣١١)، وسير أعلام النبلاء - طبعة الدار -: (١٥/ ٢٦١)، ومرآة الجنان وعبرة اليقظان: (٣/ ٢٩٣ - ٢٩٦)، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب - تحقيق محمود الأرناؤوط: (٦/ ٣٩٧)].

(٦) جاء الشيب

- قال السَّمعاني:
- وأنشدني لنفسه بالمزَّة من أرض دمشق(*):

١ - أَيـا نَـفْـسُ وَيْـحَـكِ جَـاءَ الـمَـشِـيـبُ
فَـمَـاذَا الـتَّـصَـابِـي وَمَـاذا الـغَـزَل؟

٢ - تَـوَلَّـىٰ شَـبَـابِـي كَـأَنْ لَـمْ يَـكُـنْ
وَجَـاءَ مَـشِـيـبِـي كَـأَنْ لَـمْ يَـزَل

(*) السَّمعاني: انظر ترجمته في القصيدة رقم: (١).

المزة: قريةٌ كبيرةٌ غنّاء في وسط بساتين دمشق، بينها وبين دمشق نصف فرسخ، وبها قبر دحية الكلبي رضي الله عنه. يقال لها: مِزّة كلب. قال عبد الله بن قيس الرقيات:

حَـبَّـذا لـيـلـتـي بـمـزَّة كـلـب غـال عـنّـي بـهـا الـكـوانـيـن غـول

دمشق: أو الشام، عاصمة سورية ورد ذكرها في الكتابات المصرية والأشورية والكتاب المقدَّس، سكنها الآراميون فجعلوها عاصمة مملكتهم سنة ٩٤٠ ق.م. فتحها الأشوريون سنة ٧٣٢ ق.م. والبابليون سنة ٦١٢ ق.م، والفرس سنة ٥٣٩ ق. واليونان سنة ٣٣٣ ق.م، ثمَ الأنباط سنة ٨٥ ق.م والرومان سنة ٦٦ق.م، فتحها المسلمون سنة ٦٣٥م، واتخذها الخلفاء الأمويون عاصمة لهم فعرفت عصرها الذهبي، وحصّنها نور الدين زنكي في وجه الصَّليبيين، وخرّبها المغول سنة ١٢٦٠م، وأحرقها تيمورلنك سنة ١٤٠٠ .

تشتهر دمشق بجامعاتها ومساجدها وأسواقها.

ويحك: كلمة رحمةٍ يرثى فيها لمن وقع في بليَّةٍ، يدعو له بالتَّخَلُّص، وهي زجرٌ لمن أشرف على الهلكة، وتُقال في التَّقبيح، المشيب: الشَّيب. والشَّيب: بياض الشّعر أو الشَّعر الأبيض نفسه.

التصابي: الميل إلى الصّبوة واللَّهو واللّعب. الغزل: حديث الفتيان والفتيات.

تولى شبابي: ذهب الشباب.

والبيت هو لعلي بن جبلة المعروف بالعكوك وهو قوله:

شـبـابٌ كـأن لـم يـكـن وشـيـبٌ كـأن لـم يـزل

وليس بينهما إلاّ تغيير يسير كما تراه.

٣ - كـأنّـي بِـنَـفْـسـي عَـلَـىٰ غـرَّةٍ

وَخَـطْـبُ الـمـنـونِ بِـهَـا قَـدْ نَـزَلْ

٤ - فَـيَـا لَـيْـتَ شِـعْـرِي مِـمَّـن أَكُـونُ

وَمَـا قَـدَّرَ الـلَّـهُ لـي فـي الأزَلْ

(٣) غرة: الغرّة: الغفلة في أثناء اليقظة، الجمع: غرر، يقال: أخذ على غِرّه. الخطب: الشّأن، يقال: ما خطبك؟ والخطب: الأمر صغر أو عظم، ومنه: هذا خطبٌ يسيرٌ، وهذا خطبٌ جليلٌ، والخطب أيضاً: النّازلة الشّديدة، الجمع: خطوبٌ. المنون: الدّهر. وريب المنون: حوادث الدّهر وأوجاعه.

(٤) ليت شعري: ليتني أشعر وأعلم. الأزل: القدم، وما لا أول له؛ أي: لا يعرف وقت بدئه.

[مصدر هذه الأبيات من خريدة القصر وجريدة العصر: (١/ ٢٧٤ - ٢٨٠)، ما عدا البيت الثالث. ومعجم الأدباء: (١٣/ ٧٣ - ٨٧). ومرآة الزمان: (٨/ ٢١٤)، والبداية والنهاية - طبعة الدار-: (٨/ ٤٤٢)، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: (٣/ ٣٠٩ - ٣١٠)، وسير أعلام النبلاء - طبعة الدار-: (١٥/ ٢٦١)، ومرآة الجنان وعبرة اليقظان: (٢/ ٣٩٣ - ٣٩٦)، وطبقات الشافعية (الإسنوي): (٢/ ٢١٦ - ٢١٧) وقد ورد في هذا المصدر البيت الأول والبيت الرابع، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: (٦/ ٧٧)].

(٧) نيسابور

- قال السَّمعاني :

- أنشدني لنفسه بنيسابور(*) :

١ - لاَ قَـدَّسَ الـلّـه نـيـسَـابُـور مِـنْ بَـلَـدِ
مَـا فِـيـهِ مِـنْ صَـاحِـبٍ يُـسْـلَـىٰ ولا سَـكَـنِ

٢ - لَوْلاَ الجَحِيمُ الذي في القَلْبِ مِنْ حَرَقٍ
لـفـرقَـةِ الأَهْـلِ والأَحْـبَـابِ وَالـوَطَـنِ

٣ - لَـمُـتُّ مِـنْ شِـدَّةِ الـبَـرْدِ الَّـذي ظَـهَـرَتْ
آثَـارُ شِـدَّتِـهِ فـي ظَـاهِـرِ الـبَـدَنِ

(*) السمعاني: انظر ترجمته في القصيدة رقم: (١).
نيسابور: أو نيشابور، عاصمة خراسان، من أعظم المدن الإسلامية في القرون الوسطى مع بلخ وهراة ومرو، وهي مسقط رأس عمر الخيام، وفريد الدين العطّار، خرّبتها الحروب والزلازل.

(١) لا قدس الله: لا طهّر الله. يسلي: من السلوى والسّلوان، وهو ما يذهب الهم. وفي مثل قول الإمام ابن عساكر قال القاضي أبو الحسن الأستراباذي:

لا قــدَّسَ الله نــيــســابــور مــن بــلــدِ ... ســوق الـنِّـفـاقِ بـمـغـنـاهـا عـلـى سـاقِ
يـمـوت فـيـهـا الـفـتـى جـوعـاً وبِـرُّهُـمُ ... والـفـضـل مـا شـئـتَ مـن خـيـرٍ وأرزاقِ
والـحـبـرُ فـي مـعـدن الـغَـرْثـى وإن بَـرقَـتْ ... أنـوارُهُ فـي الـمـعـانـي غـيـر بَـرّاقِ

وقال المرادي في ذمّ أهلها:

لا تـنـزلـنَّ بـنـيـسـابـور مُـغـتـربـاً ... إلاّ وحـبـلـك مـوصـولٌ بـسُـلـطـانِ
أولا فــلا أدبٌ يــجــدي ولا حـــســـبٌ ... يُـغـنـي ولا حُـرمـةٌ تُـرعـىٰ لإنـسـانِ

(٢) الجحيم: النّار الشّديدة التأجّج، واسمٌ من أسماء جهنم. الحرق: النار، ولهيبها، واضطرامها.

(٣) يبدو من كلام أبي القاسم أنه سكن نيسابور أيام الشتاء، حيث شتاؤها قارس. والذي يزور هذا البلد في الرَّبيع يدرك جماله بشهادة أبي العبّاس الزّوزني المعروف بالمأموني فإنّه يقول:

لـيـس فـي الأرضِ مـثـل نـيـسـابـور ... بـلـدٌ طـيِّـبٌ وربٌ غـفـور

٤ - يا قَوْمُ دُومُوا عَلَىٰ عَهْدِ الهَوَىٰ وَثِقُوا
أَنّي عَلَىٰ العَهْدِ لم أَغْدرْ وَلَمْ أَخُنِ

٥ - وَلاَ تَدَبَّرْتُ عَيْشي بَعْدَ بُعْدِكُمُ
إلاَّ تَمَثَّلْتُ بَيْتاً قيلَ مِنْ زَمَنِ

٦ - فَإنْ أَعِشْ فَلَعَلَّ اللَّهَ يَجْمَعُنا
وَإنْ أَمُتْ فَقَتيلُ الهَمِّ وَالحَزَنِ

---

(٤) دوموا: من الدّوام. الهوى: الميل، والعشق يكون في الخير والشرّ، وميل النفس إلى الشهوة. قال الشاعر:

إنّ التي زعمت فؤادك ملّها ... خلقت هواك كما خلقت هوى لها

العهد: العلم، والوصيّة، والميثاق. أغدر: أنقض العهد وأخون. أخن: خانه خوناً وخيانةً ومخانةً لم ينصحه حين ائتمنه. وخانه العهد: لم يرع عهده.

(٥) تدبّرت: نظرت في عاقبته وتفهمه. تمثّلت: تصوّرت مثاله. وتمثّل بالشيء: جعله مثلاً أو مثالاً وتشبّه به، أو ضربه مثلاً، يقال: هذا مَثَلٌ فتمثّل به، وتمثّل الشيء له: ظهر في شكل من الأشكال. قال الله تعالىٰ في سورة مريم، الآية: (١٧): ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾.

(٦) الهمُّ: الحزن. الجمع: همومٌ. الحزَن: والحُزن: الهمُّ والغمُّ، الجمع: أحزانٌ.

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: معجم الأدباء: (١٣/ ٧٣ - ٨٧)] وهي على البحر البسيط.

فهرس الكتاب